

عيسى أم يسوع

THE MOSLEM CHRIST

www.muhammadanism.org
March 20, 2007
Arabic

صموئيل م. زويمر

SAMUEL M. ZWEMER

THE MOSLEM CHRIST

عيسى أم يسوع

وهي مقالة عن حياة و صفات وتعاليم يسوع المسيح
حسب القرآن والأحاديث النبوية

عن الإنكليزية

لواضعها الدكتور صموئيل زويمر

(طبعة أولى)

طبع في المطبعة بشارع المناخ نمرة ٣٧

سنة ١٩١٤

إهداء الكتاب

نقدم كتابنا هذا إلى جميع القسس بوادي النيل

« أيضاً يشبه ملكوت السموات إنساناً تاجراً يطلب لآلئ حسنة فلما
وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن مضى وباع كل ماله واشتراها »
(متى ١٣: ٤٥ و٤٦)

« أرى الإحسان عند الحر ديناً وعند النذل منقصة وذماً
كقطر الماء في الأصداف درأً وفي جوف الأفاعي سماً »

« لأننا رائحة المسيح الذكية لله في الذين يخلصون وفي الذين
يهلكون لهؤلاء رائحة موت لموت ولأولئك رائحة حيوة لحيوة »
(٢ كورنثوس ٢: ١٤)

(ج)

مَهَيِّدٌ

لو نظرنا إلى القرآن لوجدناه قد أفسح بين صفحاته أمكنة واسعة لذكر أحوال السيد المسيح ككيفية حمل أمه به وولادته وبعض معجزاته ووفاته وصعوده إلى السماء ولكننا نراه قد أنكر لاهوته وكفارته بعمل الفداء التي هي أهم باعث له على تجسده ومجيئه لهذا العالم وما أتى به من التلميحات التي تشير إلى لاهوته ومقامه السامي هي غير وافية بالعرض لخفائها ووجود ما يناقضها

نعم إن القرآن والمسلمون كافة يعترفون أن المسيح هو نبي ومن أولي العزم من الرسل ولكن بين ذلك وبين مقامه العلي بعد شاسع وإن كثرة ذكر المسيح في الكتب الإسلامية واعتراف المسلمين كافة أنه أحد أنبيائهم يدعو كل باحث عن الحقيقة إلى المقابلة بينه وبين محمد ويجمل بكل مسيحي مخلص أن يسأل أخاه المسلم قائلاً (ماذا تظن في المسيح) وجواب هذا السؤال مهم جداً لكل إنسان لأنه يتوقف عليه مستقبل الأفراد والأمم. فلأجل أن نساعد إخوتنا المسلمين على الإجابة بالصواب على هذا السؤال يلزمنا أن نعرف ما يعتقد المسلمون في المسيح ونتخذ اعتقادهم سلماً يوصلنا إلى ما فعله الإنجيل وبينه في العهد الجديد من كماله الأتم وجماله الأكمل والذي أظنه بإخوتنا المسلمين

(د)

المحققين أنهم يسلّمون بكل ما يرويّه الإنجيل لأن القرآن أثنى عليه أحسن الثناء بل شهد بأنه جاء مصدقاً له ومهيماً عليه أيّ حافظاً ورقياً عليه من التغيير والتحريف ولا نصغي لما يتفوه به بعض المنتسبين للعلم الإسلامي وهو منهم بريء

إذ بإيرادنا لما ورد في الإنجيل من صفات المسيح وجماله الباهر نصير قادرين على بيان الحقيقة الصحيحة للذين يكرمونه كنبي ولا يعرفون حقيقته الحقّة

نعم إن جل اقتباساتنا لأخبار المسيح من الكتب الإسلامية هو من كتاب قصص الأنبياء للإمام الفقيه أبي أحمد ابن محمد ابن ابراهيم الثعلبي النيسابوري المفسر المشهور المتوفى سنة (٤٢٧هـ و١٠٣٦م) وإن يكن طعن برواياته بعض الطاعنين فترى الجمهور الإسلامي يسلّمون بما يرويّه هذا الامام أجل تسليم. ونجد نسخاً من هذا الكتاب في كثير من ديار الكتب الأوروبية وقد تكرر طبعه في مصر سنة ١٢٩٣ و١٣٠٦ و١٣٠٨ و١٣١٠ و١٣٢٥هـ وفي بومباي سنة ١٣٠٦هـ وما ذلك إلا لرغبة إخواننا المسلمين في هذا الكتاب وثقتهم بمؤلفه

ويقصد الكاتب أولاً إظهار فقر المسلمين في معرفة يسوع وثانياً توجيه قلوب وعقول المسيحيين عموماً والعاملين منهم خصوصاً إلى نقل هؤلاء من محبة عيسى إلى الإيمان بيسوع

الخطيب

عبد الله

الفصل الأول

أسماء عيسى وألقابه

قد جرت العادة عند الشرقيين عموماً والساميين خصوصاً أن يعطوا أهمية خصوصية للأسماء والألقاب ويتضح لك ذلك من مطالعة التوراة والزيبور والإنجيل ومن العوائد التي لا تزال متبعة بين القبائل العربية إلى يومنا هذا من منح أسماء وألقاب وكنى للأشخاص والأماكن بقصد الإشارة إلى صفة مميزة للشخص أو المكان أو الشيء بواسطة مسماه ولذلك كان من المهم أن نبدأ كتابنا بذكر الأسماء المعطاة للمسيح في القرآن والدارج استعمالها بين المسلمين أكثر من غيرها وأننا نرى أنه لا يصح مطلقاً لأهل السنة أن يستعملوا أسماءً وألقاباً أخرى للمسيح غير المستعملة في القرآن ولنبدأ بذكرها حسب أهميتها وكثرة ورودها

(أولاً) — عيسى (يسوع) وهو الاسم الأكثر استعمالاً

-
- بين المسلمين مسبقاً بكلمة النبي مضافاً إليه ابن مريم وهذا ورد خمس وعشرون مرة في القرآن
- (١) سورة البقرة: ٨٨ — ولقد أتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسول وأتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس
- (٢) البقرة: ١٣٧ — قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى
- (٣) البقرة: ٢٥٤ — وأتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس
- (٤) سورة آل عمران: ٤٦ — إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين
- (٥) آل عمران: ٥٣ — فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله
- (٦) آل عمران: ٥٦ — إذ قال الله يا عيسى اني متوفيك

ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة

(٧) آل عمران: ٦٠ — إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم

(٨) آل عمران: ٨٥ — قل آمننا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم

(٩) سورة النساء: ١٥٦ — وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه

(١٠) النساء: ١٦٠ — انا أوحينا إليك كما أوحينا... إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى

(١١) النساء: ١٦٨ — انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه

(١٢) المائدة: ٤٩ — وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة

(١٣) المائدة: ٨١ — لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم

(١٤) المائدة: ١١٣ — وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس

(١٥) المائدة: ١١٥ — إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء

(١٦) المائدة: ١١٧ — قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً

(١٧) المائدة: ١١٩ — وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله

(١٨) الانعام: ٨٦ — وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين

(١٩) مريم: ٣٤ — ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون

(٢٠) الأحزاب: ٧ و ٨ — وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم... ليسأل الصادقين عن صدقهم

(٢١) الشورى: ١٣ — شرع لكم من الدين ما وصى به

نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى

(٢٢) الزخرف: ٦٣ – ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئكم بالحكمة ولأبين لكم بعض

الذي تختلفون فيه فاتقوا الله واطيعون

(٢٣) الحديد: ٢٧ – وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه

رأفة ورحمة

(٢٤) الصف: ٧ – وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله

(٢٥) الصف: ١٤ – يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين

من أنصاري إلى الله

ومن مراجعة هذه النصوص القرآنية تجد أنه في ستة عشر موضعاً منها يدعى عيسى ابن مريم وفي خمسة يُقرن مع اسم موسى نبي العهد القديم العظيم وربما لم يكن لذكر موسى مع عيسى من سبب سوى مقارنة الاسمين لفظاً وهجاءً كما قال ايزيدور لونتال المرسل على حدود الأفغان وهذا استعمال كثير الورود في القرآن كقوله هاروت وماروت وهابيل وقابيل

وما أشبهه. وأما اشتقاق كلمة عيسى فسننكلم عنها في محل آخر

(ثانياً) — المسيح — وقد ورد في القرآن ثماني مرات في ثلاث منها مقترناً باسم عيسى

(١) في سورة آل عمران: ٤٦ (مر ذكرها)

(٢) سورة النساء: ١٥٦ (مر ذكرها)

(٣) سورة النساء: ١٦٨ (مر ذكرها)

وفي الخمس الباقية وحده

(١) سورة النساء: ١٦٩ لن يستكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن

يستكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً

(٢) سورة المائدة: ١٩ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله

شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً

(٣) سورة المائدة: ٧٥ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني

اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم

(٤) سورة المائدة: ٧٨ ما المسيح ابن مريم إلا رسول خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام

(٥) سورة التوبة: ٣١ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون

أما عزير هذا فقد قال الكلبي أن بختصر ظهر على بني اسرائيل وهدم بيت المقدس وقتل من قرأ التوراة وكان عزير إذ ذاك غلاماً صغيراً فاستصغره فلم يقتله ولم يدر أنه قد قرأ التوراة فلما فات مائة سنة ورجعت بنو إسرائيل إلى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله تعالى فيهم عزير ليجدد لهم التوراة ويكون لهم آية فأتاهم عزير وقال أنا عزير فكذبوه وقالوا إن كنت عزيراً كما تزعم فاتل علينا التوراة فكتبها وقال هذه التوراة ومع أن هذا الحديث لا أصل له في التلمود اليهودي فإن البيضاوي يقول إن الآية قرئت عليهم (على اليهود) فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب (قابل البيضاوي تفسير الآية ٣١)

ومما جاء في سورة النساء: ١٦٩ من تلقيب المسيح بعبد الله كما جاء في أشعيا (ص ٤٢):
(١٩) وفي سورة التوبة: ٣١ من تلقبيه بابن الله ومما سيأتي من تلقبيه بكلمة الله نرى أن محمداً
أخذ هذه الألقاب من شفاه المسيحيين الذين كانت له عشرة معهم لأنها ألقاب مسيحية محضة لا
يهودية

(ثالثاً) — كلمة الله — وقد وردت في القرآن في أماكن عديدة غير أنها في نص الموضعين
الآيتين تشير بصراحة إلى المسيح

(١) سورة آل عمران: ٤٦ (مر ذكرها)

(٢) سورة النساء: ١٦٨ (مر ذكرها)

وفي هاتين الآيتين يلقب المسيح بكلمة الله وكلمة من الله وقد أجمعت كلمة المفسرين
وعلماء اللغة على استعمال لفظتين ممتازتين لكلمة الله الواحدة يقصد بها وحيه الشريف
ويستعملون له كلام الله والأخرى رسوله ويقال له كلمة الله ولا يوجد في كل القرآن إلا هاتان
الآيتان حيث يلقب مخلصنا هذا اللقب الإنجيلي المحض. ومما يجب الالتفات إليه هو أن موسى

يلقب في القرآن كليم الله أي أن الله حسب أهلاً لتقته ومحادثته بينما يسوع يلقب كلمة الله لأنه يوصل كلمة الله وإرادته إلى البشر

(رابعاً) — روح الله أو روح من الله واستعمل هذا اللقب مرة واحدة في القرآن في سورة النساء: ١٦٨ (مر ذكرها) ولكن لم يتفق المفسرون على معناها فقال بعضهم إنه لقب خاص بعيسى المسيح وقال آخرون إن عيسى يشترك مع سائر البشر في أنهم من روح الله الخالقة (خامساً) — دعي يسوع المسيح في القرآن نبياً ورسولاً

سورة مريم: ٣٠ و ٣١ — تكلم في المهد وقال إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت

سورة الحديد: ٢٧ (مر بك ذكرها)

سورة النساء: ١٦٨ (مر بك ذكرها)

وجاء في الأحاديث الإسلامية أن عدد أنبياء الله ورسله ١٢٤ ألفاً وقال بعضهم بل ٢٤٠ ألفاً وقال آخرون لا بل ١٠٠ ألف ويظهر من هذا وغيره أن كلمتي نبي ورسول ليست لهما عند الإسلام المقام والاحترام اللذين لهما في العهد القديم والعهد

الجديد. وقد بلغ عدد الرسل الذين جاءوا برسالة خاصة ٣١٣ نفساً. ويقولون إن النبي رجل ملهم من الله ولكنه غير مكلف بتبليغ رسالة أو كتاب أما الرسول فهو من أرسل بشريعة جديدة أو بكتاب خاص فكل الرسل أنبياء ولا يعكس أما يسوع فكان رسولاً ونبياً معاً. وقد قال المفسرون ما معناه أن النبي يشترط فيه أن يكون ذكراً من أبناء آدم حرّاً لا عبداً سليم العقل والجسم لا عيب في جسده ولا مرض قد أعلن له إعلان فقبله ويشترط فيه أن لا يتنبأ قبل سن التكليف ولا يمكن لامرأة أن تكون نبية (الجوهرة)

أما صفات النبي التي ينبغي أن يتصف بها فأربع

(١) الأمانة — أي أنه أثناء أداء عمله كنبي يحفظ من ارتكاب أي خطية وقد ساد بين المسلمين الاعتقاد بعصمة الأنبياء من الخطايا رغماً عن تصريح القرآن في أماكن عديدة بخطايا الأنبياء أجمعين بما فيهم محمد

(٢) الصدق — أي أنه يتكلم الصدق المطابق لحقيقة الواقع أو على كل حال ما يعتقد أنه صدق

(٣) توقد الذهن أو الفطنة التي يقدر بها أن يسكت المقاومين والمعارضين وهذه الصفة تكون في الرسل أكثر منها في الأنبياء

(٤) تبليغ الرسالة — أي أنه لا يتأخر عن تبليغ ما أعلنه الله له مهما كانت الظروف والأحوال

أما يسوع فلأنه كان نبياً ورسولاً معاً فكانت له قوة إتيان المعجزات كما سنبين ذلك في فصل آت

وحتى تفهم لقبني نبي ورسول الملقب بهما يسوع في القرآن وجب أن لا يغرب عن ذهنك أول كل شيء أن أعظم نبي ورسول عند المسلمين هو محمد وأنه ليس أعظم الأنبياء والمرسلين فقط ولكن أشرف خلق الله أجمعين ثم يأتي بعده في المقام أربعة وهم إبراهيم وموسى ويسوع ونوح وهؤلاء الخمسة لقبوا بأولي العزم وهذا اللقب مأخوذ من سورة الأحقاف: ٣٥ قوله «فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون» ويقول المسلمون إن ستة من الأنبياء قد أتوا بشريعة جديدة وناموس جديد ولذلك يعطون لكل واحد منهم لقباً خاصاً فيقولون (آدم) صفي الله (ونوح)

نبي الله و(إبراهيم) خليل الله و(موسى) كلیم الله و(عیسی) روح الله و(محمد) رسول الله. فيتضح لك من كل ما تقدم أن المسيح يسوع لا يشغل المكان الأرفع بل له أسوة بإبراهيم وموسى ومحمد الخ

ولنبحث الآن في أهمية الأسماء والألقاب التي يلقب بها المسلمون ربنا يسوع المسيح ونتأمل أيضاً في صيغتها واشتقاقها

كثيراً ما نسمع الناس يسألون لماذا استعمل محمد كلمة عيسى بدلاً من يسوع ولا نجد جواباً معقولاً لهذا التغيير والتبديل بل بالحري نجد أن هذا التبديل صار حجر عثرة في سبيل الكثيرين من المسلمين الراغبين في الاطلاع على الحق الإنجيلي. حتى أن كاملاً عبد المسيح كتب مرة من عدن بعد اعتناقه المسيحية للدكتور چسب في بيروت يستوضحه هذه الحقيقة فقال له « هل يتكرم سيدي ويجيبني على هذا السؤال وهو لماذا دعي يسوع عيسى في الكتب الإسلامية وهل لهذا الاسم وجود بين العرب في أيام الجاهلية. فأجابه الدكتور بما أشرنا إليه آنفاً وهو أنه لا أهمية مطلقاً بصيغة الاسم وتركيب

حروفه سواء كان عيسى أو يسوع وإنما اخترع محمد هذه الصيغة لتوازنها في اللفظ وسجعتها مع لفظة موسى كما بدل اسم جليات إلى جالوت وشاول إلى طالوت للسجع أيضاً كما في (سورة البقرة: ٢٤٨ - ٢٥٠) وكذلك بدل اسمي ابني آدم قايين وهابيل إلى قابيل وهابيل والاسمين للملاكين المزعومين هاروت وماروت اللذين علما الناس السحر (سورة البقرة: ١٠٣) إنما تعترضنا صعوبة في هذا التعليل وهي أن اسم عيسى لم يقترن باسم موسى إلا في خمسة أماكن فقط أما في الأماكن الأخرى التي ورد فيها ذكر عيسى فلم يراع فيها السجع. وقال آخرون إن كلمة عيسى هي تصحيف كلمة يسوع بقلب في ترتيب الحروف العبرانية ولكننا نرى أن هذا اعتساف أيضاً لا يؤيده علم الصرف والاشتقاق إلا قليلاً لأننا إذ قلبنا كلمة يسوع بترتيب حروفها اضطررنا أيضاً على قلب الواو ياء والياء الأولى ألفاً مقصورة. وقد قال البيضاوي في تفسيره أن عيسى هي الصيغة العربية للكلمة العبرانية يسوع وهي مشتقة من العيوس أي أبيض يخالطه شيء من الشقرة

وقال الدكتور اوتو پاوتز معلوم أن عيسو أخ يعقوب كان هو ونسله أعداء ألداء لبني إسرائيل شعب الموعد في كل أدوارهم التاريخية فلكراهة اليهود ليسوع مسخوا اسمه احتقاراً ودعوه عيسو فأخذه عنهم محمد دون أن يلتفت إلى المعنى السيئ الذي يقصدونه في أفكارهم الخبيثة وكنا نود لو قدم لنا الدكتور براهين أخرى على صحة رأيه هذا ولكننا مع كل ذلك نراه حسب ظاهره أقرب قبولاً من غيره بناءً على ما هو مشهور من اتخاذ محمد أشياء كثيرة من اليهودية واليهود

أما من جهة الكلمة المسيح فمع أنها مأخوذة من اللغة العبرانية ولها أهمية عظيمة بمعنى الممسوح غير أن بعض المسلمين يشرحونها شرحاً بعيداً عن معناها ومعناها ولنضرب لك مثلاً ما وُجد مكتوباً بالعربية على كبري في فتح بور سكري بالهند وهو « قال عيسى عليه السلام الدنيا جسر أعبرها ولا تبن عليها ويقال في الأحاديث المنقولة عن محمد أن أصل هذا القول كما رواه الثعلبي في قصص الأنبياء » أن عيسى رأى مرة ثعلباً يركض في الصحراء فقال له على أين يا ثعلب؟ قال الثعلب أتيت من

الرياضة وعائد إلى بيتي. قال عيسى لكل إنسان بيت وأنا ليس لي مقر فقال بعض سامعيه إن هذا يحزننا يا نبي الله فاسمح لنا أن نبني لك بيتاً. قال ليس لي مال قالوا ندفع عنك النفقات. قال إذاً اختار المكان قالوا ذلك لك فأخذهم إلى شاطئ البحر وأشار إلى الأمواج وقال هنا ابنوا إلى البيت. قالوا هذا بحر يا نبي الله فكيف نبني عليه. قال نعم والدنيا بحر لا يستطيع أحد أن يبني عليها بناءً ثابتاً

ومع أن التعليل عن اشتقاق كلمة عيسى من يسوع بقلب وإبدال هو مقبول على نوع ما ولكن لا يغرب عن الأفهام أن المسلمين يقبلونه ليتخلصوا به من الكلمة الأصلية وما لها من الأهمية المعنوية حتى في قاموس الفيروز ابادي مثلاً تجده في تعريف كلمة مسيح يرجع بها للفعل مسح ولكنه يعود فيقول وقد لقب به عيسى لأنه كان كثير الأسفار فلم يقطن في محل واحد وإذا رجعت إلى كتابه مشارق الأنوار تجده يقدم أكثر من خمسين تعليلاً وكل ذلك ليتخلص من معناها الحقيقي

ومما تقدم يتضح لك أن القرآن يلقب المسيح بكلمة الله كما

أنه في (سورة مريم: ٣٤) يلقيه بقول الحق فمن هذين اللقبين يظهر لك بأجلى بيان طبيعة يسوع المسيح الأزلية ومقامه السامي سواء سلم بذلك أخوتنا المسلمون أم لم يسلموا ولقد أجاد الدكتور كليبر تسدل بقوله في كتاب ميزان الحق « إن الكلمة تدل على تعبير ما في عقل المتكلم وهو في هذه الحالة الله تعالى وعليه إذا كان المسيح كلمة من الله فما هو إلا تعبير إرادة الله وحيث أن الله بنفسه يدعو كلمة الله فهو تعبير إرادة الله الكامل أو بعبارة أخرى استعلان الله وبواسطته تكلم الأنبياء عند إرساله لهم روحه القدس فكلمة الله إذاً تبين أن المسيح هو الوحيد الذي يعلن الله للناس إذ هو يعرف الله ويعلم إرادته تماماً »

وفي ختام هذا الفصل نستدعي التفات القارئ الكريم إلى لقبين مهمين آخرين الأول ما جاء في (سورة الأنبياء: ٩١) قوله عن مريم وابنها « وجعلناها وابنها آية للعالمين » واستعمال كلمة آية بالمفرد على حين أن الكلام على اثنين يذكرنا بما ورد عن مخلصنا في « نبوة اشعيا » انه يكون عجباً وقد اجتهد البيضاوي أن يقلل أهمية هذا القول بما وسعت حيلته في التأويل فقال « آية للعالمين

فإن من تأمل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى «

الثاني ما جاء في (سورة آل عمران: ٤٦) قوله « إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين » فلو شاء الأخ المسلم أن يقبل هذه الأقوال المنسوبة لله كما تؤدي ألفاظها من المعنى الصريح لما وجد صعوبة في الاعتقاد أن يسوع المسيح حسب شهادة القرآن أعظم كل الأنبياء وقد قال البيضاوي شرحاً على هذه الآية الوجاهة في الدنيا النبوة وفي الآخرة الشفاعة ومن المقربين إلى الله وقيل إشارة إلى علو درجته في الجنة أو رفعه إلى السماء وصحبته الملائكة



الفصل الثاني

عيسى في القرآن

حياته وموته ورفعته

تعرضنا ثلاث صعوبات في ذكر ما جاء في القرآن عن حياة يسوع المسيح الأولى تجزؤ القرآن أي عدم اتصال أخباره وتسلسلها فلا تجد فيه ترتيباً تاريخياً ولا تسلسلاً منطقياً لأن آياته نزلت حسب قولهم في أوقات متقطعة وأماكن مختلفة هذا علاوة على التشويش العام الذي يصادفه القارئ الراغب أن يتتبع أمراً من بدايته إلى نهايته فتجد الشرائع ممزوجة بالقصص والأخبار بالأوهام والوعد والوعيد وقلما تجد في السور التي نزلت أولاً خبراً عن رجال العهد القديم ومع أن في تلك السور تجد عليها مسحة من الروح المسيحي ظاهرة في أماكن عديدة فإن ذكر يسوع المسيح لم يرد فيها البتة

والصعوبة الثانية والأكثر تعقيداً هي إن أقوال القرآن عن ربنا يسوع المسيح لا يخلو من التناقض مثل بعض تعاليمه

فبعض الآيات تتكلم عنه كمجرد إنسان ونبي بينما بعضها الآخر يلقيه بالألقاب لا يلقب بها إنسان آخر في الوجود وأكبر مناقضة هي ما جاء عن موته فإنه لا يمكن التوفيق بين تلك الآيات إلا تعسفاً

والصعوبة الثالثة هي الترتيب التاريخي للسور فإننا إذا أردنا أن نتتبع نشوء الفكر وتقدمه عند محمد عن المسيح وجب أن نبدأ بأول ذكر جاء عنه حسب الترتيب التاريخي ثم نسير فيه تدريجياً وتاريخياً (خرونولوجياً) حتى نصل إلى آخر سورة ولكنه من الأسف لا يوجد اتفاق بين علماء الإسلام أنفسهم على الترتيب التاريخي للسور القرآنية ويقرون أن ترتيبها الحالي ليس تاريخياً ويتمنون لو أمكن الحصول على معرفة يقينة من حيث وقت نزول كل سورة ومكانها

وبما أنه ليس جل قصدنا الآن أن نتتبع نمو هذا الفكر في عقل محمد بل أن نجمع كل الآيات المتفق عليها عند كل المسلمين أنها تشير إلى يسوع المسيح لذلك لا نكلف أنفسنا تعباً في البحث في الترتيب التاريخي بل نكتفي بجمع الآيات

المشييرة إليه مراعين في ذلك ترتيب الإنجيل التاريخي حتى نقدم للقراء تاريخ المسيح بعبارات
قريية

(١) البشارة به

وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين. يا
مريم افنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم
إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون. إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله
يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم
الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين. قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسنني بشر قال كذلك
الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة
والإنجيل ورسولاً إلى بني إسرائيل

(سورة آل عمران ٤٢ - ٥٠)

واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً. فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا
إليها روحنا فتمثل لها بشراً

سويًا قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً. قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسنني بشر ولم أك بغياً. قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً^(١)

(٢) ولادته

فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً فاجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني متّ قبل هذا وكنت نسياً منسياً. فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريباً وهزي إليك جذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً لكلي واشربي وقري عيناً فاما ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً

(١) وإنما نقشعر من تفسير البيضاوي لهذه الآية إذ هو تفسير فاسد ولكننا رأينا أن نضيفه هنا ليعرف القارئ أفكار أئمة الدين قال (قيل قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض محتجبه بشيء يسترها وكانت تتحول من المسجد إلى بيت خالتها إذا حاضت وتعود إليه إذا طهرت فبينما هي في مغتسلها أتاها جبرائيل متمثلاً بصورة شاب أمرد سوي الخلق لتسأنس بكلامه ولعله لتهيح شهوتها به فتتحدث نطفتها إلى رحمها) آه

فلن أكلم اليوم إنسياً فأنتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً يا أخت هرون ما كان أبوك أمراً سوء وما كانت أمك بغياً فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكوة ما دمت حياً وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً (سورة مريم ٢١ – ٣١)

وجعلنا ابن مريم وأمه آية وأويناها إلى ربوة ذات قرار ومعين (المؤمنين: ٥١)

(٣) معجزاته

« ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولاً إلى بني إسرائيل إني قد جئتكم بأية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وابريء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ومصداقاً لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم

عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون أن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم.
فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله
وأشهد بإننا مسلمون ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين « (سورة آل عمران:
٤٩ — ٥٤)

وهذه الآيات مع التي تليها هي الوحيدة بين كل آيات القرآن التي تشهد للمسيح بعمل
المعجزات ومع أنها شيء زهيد جداً بالمقابلة مع ما ورد عن معجزاته في الإنجيل فإن كتب
الأحاديث بنت عليها قصوراً من الخرافات ونسبت إلى المسيح معجزات نجله عن عملها لأنها لا
توافق مقامه الأسنى ولا غرضه الشريف

إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء
قال اتقوا إن كنتم مؤمنين. قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون
عليها من الشاهدين. قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً
لأولنا وآخرنا وآية منك

وارزقنا وأنت خير الرازقين. قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين « (سورة المائدة ١١٥ - ١١٨)

والإشارة هنا ولا شك هي إلى مائدة العشاء الرباني غير أن المسلمين يفسرونها تفسيراً بعيداً عن الحقيقة (انظر كورنثوس ١١: ٢٧ و ٢٩ - ٣١)

(٤) ارساليته ورسالته

« وقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون. ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فاتين الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون « (سورة الحديد: ٢٦ و ٢٧)

« تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتيناه عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعدما

جاءتهم البيّنات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد « (البقرة: ٢٥٤)

« وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون « (سورة المائدة: ٤٩ و ٥٠)

« ولقد آتينا موسى الكتاب ووقفينا من بعده بالرسول وآتينا عيسى ابن مريم البيّنات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون « (سورة البقرة: ٨٨)

« وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين « (سورة الأنعام: ٨٦)

« وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً مما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد « (سورة الصف: ٦)

« وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً » (سورة النساء: ١٥٧)

« وجئتم بأية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم » (سورة آل عمران: ٥١)

(٥) موته

وقد وضعنا هنا الأقوال المؤكدة موته إزاء الأقوال المنكرة صلبه لنبيين التناقض بينهما الذي حير حتى جمهور المفسرين المسلمين فلم يستطيعوا للتوفيق بين الأمرين سبيلاً

الآيات التي تنكر موته

وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً. وقولهم
إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما
قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين
اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا
اتباع الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه وكان
الله عزيزاً حكيماً (النساء: ١٥٥ و ١٥٦)

الآيات التي تؤيد موته

« ومكروا (اليهود) ومكر الله والله خير
الماكرين. إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك
ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل
الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم
إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون.
فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا

والآخرة وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا
وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب
الظالمين ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر
الحكيم «

(سورة آل عمران ٥٥ — ٥٨)

وقد حاول البيضاوي أن يفسر هذه الآية تفسيراً
بعيداً عن مدلولها الحقيقي البسيط فقال « وقيل
أماته الله سبع ساعات ثم رفعه إلى السماء «
(!!)

البيضاوي تفسير الآية

« والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم
أبعث حياً «

(مريم: ٣٤)

وقد سكت البيضاوي سكوتاً تاماً عن تفسير هذه
الآية لظهور معناها الغير قابل للتأويل ويقول
بعض المسلمين إن ذلك يشير إلى موت المسيح
الثاني « فلما توفيتني كنت أنت الرقيب «
(المائدة: ١٢٠)

(٦) صفاته كرسول ونبي

(وانكار لاهوته)

يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكياًلاً (سورة النساء: ١٦٨)

« لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم. ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون » (سورة المائدة ٧٥ — ٧٨)

« وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك أنك أنت علام الغيوب. ما قلت لهم إلا ما أمرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنتم عليهم شهيدياً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد » (سورة المائدة ١١٩ و ١٢٠)

ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم (سورة مريم ٣٤ — ٣٦)

« ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم. إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » (سورة آل عمران ٥٩ — ٦٠)

« لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن

في الأرض جميعاً» (سورة المائدة ١٩)

وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون (سورة التوبة ٣١)

« ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون وقالوا آلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبيبي اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملأكة في الأرض يخلفون وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان إنه عدو لكم مبین ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون. إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم » (سورة الزخرف: ٥٧ – ٦٤)

« وإن منهم لفريقاً يلون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون. ما

كان لبشر أن يؤتية الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون » (سورة آل عمران: ٧٩ و ٨٠)

هذه هي النصوص الواردة في القرآن بخصوص حياة يسوع المسيح وهي التي صارت أساساً لجملة أحاديث إسلامية وضعت بعد القرآن بزمن واسهبت في وصف المسيح وأعماله وحياته بكيفية اتم لولا بعض الخرافات المنقولة عن أرباب الأوهام وصغار الأحلام. أما مقام الحديث عند المسلمين فله شأن عظيم حتى ما يبان في القرآن أنه متناقض أو غير موافق للمعقول حسب الظاهر سواء كان من القضايا الفقهية أو الحقائق التاريخية فإن الحديث يوفقه ويجعله قريباً من الأفهام فالحديث في نظر المسلم غير ما هو في نظر المسيحي. أما الحديث الإسلامي فهو يحتوي على ما قاله نبي العرب أو أمر به أو رخص فيه وأقوال أصحابه وأعمالهم وقلما يوجد مذهب إسلامي يعتبر القرآن القانون الوحيد للإيمان والأعمال أو المرجع الثقة الوحيد

لأخبار الأنبياء الأولين ولذلك إذا أردنا أن نحصل على وصف إسلامي تام لربنا يسوع المسيح يجب أن نرجع إلى الحديث. قال العلامة جولزير « إن الحديث هو من أصول الدين الإسلامي فإن المسلمين قبل انتهاء القرن الأول للهجرة وضعوا مبدأ مهماً في قولهم إن « السنة قاضية على القرآن وليس القرآن بقاض على السنة » (الدريمي يحيى بن كنيف – خطيب بغدادي) ثم أخذت السنة تزداد سلطاناً عاماً فعاماً مع تقدم القرون

ولا جدال في أن بعض الأحاديث الواردة عن يسوع المسيح قد فاه بها محمد نبي العرب أمام صحابته وأنصاره وأتباعه ولم تسجل في القرآن والبعض الآخر نسبت إليه وهي في الحقيقة أقوال ابتدعتها أو حرقها عن أصلها بعض النصارى الذين اعتنقوا الإسلامية ولا بقولنا هذا لا نقصد أن نرمي الحديث الإسلامي بالبهتان لأن ذات علماء الإسلامية الأعلام لم تتفق كلمتهم للآن على صحة مسند كل حديث أو صدق كل ما جاء فيها ويؤكد لنا المستشرق جولزير ببراهاين عديدة أن جزءاً كبيراً من الأحاديث لا يستهان بجملتها قد ابتدعتها بعض الذين جاءوا

بعد محمد لغايات شخصية أو دينية أو سياسية وتأييداً لذلك قال أحد علماء الهند الأعلام الشيخ مولوي شيراغ علي « إن كثيرين قد أساءوا إلى اسم محمد باسنادهم إليه أكاذيب وأوهاماً مستحيلة ليؤيدوا باطلاً أو ليدعموا حاكماً ظالماً أو لينالوا مطمئناً أو ليصلوا إلى غاية دنيئة دون أن يراعوا في تلفيقاتهم الذوق والعقل السليم وإني قلما اقتبس شيئاً من الأحاديث حيث أن ليس عندي اعتقاد بصحتها فإنها غالباً غير مؤيدة بأسانيد صحيحة وعلى كل فإنها متصعبة^(١) »

هذا وإن أوسع الناس قولاً في الأحاديث المنسوبة إليه أبو هريرة وسمي هكذا لمحبهته للمهرة وقد انضم إلى صحابة النبي سنة ٦٢٩م وعاش معه واشتهر بالحفظ وسلامة الذاكرة ومع كل ذلك لا يزال بعض علماء المسلمين يرتابون في كثير من الأحاديث المنسوبة إليه زعماً منهم أن كثيراً منها قد وضع بعده بزمن ونسب إليه زوراً

ومتى قرأ المرء أقوال المفسرين المعول عليهم عما جاء في

(١) من كتابه الإصلاح الاجتماعي والسياسي في المملكة العثمانية

القرآن بخصوص المسيح أو نتيجة أبحاثهم المبنية على الأحاديث كما سترى في الفصلين التاليين يجد أن ليس من الهين عليه أن يجمع من أقوال محمد نفسه أو من أقوال الذين جاءوا بعده وصفاً تاماً للمسيح بدون تناقض أو تباين ويليق بنا قبل الدخول في الفصل الثالث أن نذكر عبارة عن السرِّ وليم مور خالية من الأغراض ويسلم بها كل مسلم عاقل قال

إن جامعي الأحاديث أدوا خدمة للإسلام والتاريخ لا ينكر قيمتها إلا كل مكابر معاند لأن طوفان الحديث الذي انسكب من كل صقع وناد من جميع أنحاء السلطنة الإسلامية كان يمكن أن يتألف منه مئات وألوف من المجلدات المتضاربة المصادر المختلفة المقاصد فلولا اجتهاد جامعي الحديث وتمحيصهم ما وصلت إليه أيديهم جهد الطاقة لوجد لدى المسلم بحر من الحديث مختبط الأمواج ممتزج الأغراض بين صدق وكذب وحق وباطل بحيث يختلف عليه الحابل بالنابل فلا يستطيع التمييز بين غثه وثمينه. فلما اهتم علماء الإسلام بجمع الحديث وترتيبه أعطوه مقاماً مهماً في القرن التالي للهجرة لما حواه من الحقائق

والمبادئ ولكن كل هذا لم يمنع دخول الحديث المشحون بالغلو والأغراق على عقول الكثيرين واعتبارهم إياه في مقام الصحيح وقد أقر الجامعون أنفسهم أنه كان شائعاً في ذلك الحين ألوف وعشرات الألوف من الأحاديث التي ليس لها ظل حقيقة. فيمكننا والحالة هذه أن نشبه جملة الأحاديث بتمثال نبوخذ نصر الذي رآه في حلمه خليطاً من الذهب والفضة والحديد والرصاص والخذف فاختلفت الحقائق المهمة بالأباطيل اختلاطاً يعسر على أي باحث عالم أن يميز بينهما أو يضع خطأ فاصلاً بين هذا وذاك (السِرِّ ولِيم مور — حياة محمد الجزء الأول وجه ٤٢)



الفصل الثالث

عيسى في كتاب قصص الأنبياء

من ولادته إلى خدمته الجهارية

إنني قد اعتمدت في هذا الفصل وما يليه على ما ورد في كتاب قصص الأنبياء للإمام العالم العلامة أبي اسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي المطبوع بمطبعة التقدم العلمية بدرب الدليل بمصر المحمية سنة ١٣٢٥ هجرية

ورب عالم يقول هل سهي عليك أن بعض الأئمة من كبار المسلمين يعترضون على مثل كتاب الثعلبي ويرمونه بأنواع التكذيب لأسباب مجهولة اللهم إلا إذا كان السبب الرئيسي أن مثل هذا المؤلف البسيط المشحون عجائب وغرائب قد صار شوكة في جسدكم ومؤملاً لتفاخرهم العلمي في هذه الأيام أيام التقدم والارتقاء. فأقول كلا بل لي إمام تام بهذا الموضوع واني أسلم بعدم قبول بعض الخواص لكتاب الثعلبي لكن لي

سؤال هل الأمة الإسلامية انحصرت في الخواص أصحاب الدبلوماسية الافرنجية؟ ألا يوجد ألوف بل ملايين من إخوانهم يتسمون عواماً أو أناساً اعتياديين وهل سكان جميع بلاد شمال إفريقيا الإسلامية مثلاً ارتقوا إلى أعلى درجة في سلم التقدم؟ كلا بل بالعكس نقول إنه رغماً عن وجود فئة قليلة العدد من المسلمين المتتورين لا يزال السواد الأعظم من تلك الأمة يتمسكون بهذا الكتاب بل ويصدقون أغرب حكاياته عن بكرة أبيهم وعلى كل حال فشأننا مع الأغلبية العظيمة كما لا يخفى

تتبيه — إني أقدم اعتذاري عن ذكر بعض الأمور التي جاءت في كتابه كما ولخصت بعضها حيث وجب التلخيص متجنباً التلخيص المخل والتطويل الممل ويجب أن لا ينسى القارئ أن كل حديث سنذكره عن الثعلبي قد أيده البيضاوي والزمخشري وغيرهما من العلماء الذين يستضاء بنبراسهم وإنا نبدأ منه بما يأتي

« مجلس في مولد عيسى عليه السلام وفي حمل مريم بعيسى عليهما السلام وما يتصل به^(١) »
قال الله تعالى « واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً » قالت العلماء
باخبار الأنبياء لما مضى من حمل عيسى عليه السلام ثلاثة أيام ومريم يومئذ بنت خمسة عشرة
سنة وقيل بنت ثلاث عشرة سنة وكان مع مريم في المسجد من المحررين ابن عم لها يقال له
يوسف النجار وكان رجلاً حليماً نجاراً يتصدق بعمل يده وكان يوسف ومريم يليان خدمة المسجد
وكانت مريم إذا نفذ ماؤها وماء يوسف أخذ كل واحد منهما قلته وانطلق إلى المغارة التي فيها
الماء فيستقيان منه ثم يرجعان إلى المسجد فلما كان اليوم الذي لقيها فيه جبريل عليه السلام وكان
أطول يوم في السنة وأشدّه حرّاً نفذ ماؤها فقالت ألا تذهب بنا يا يوسف فنستقي فقال إن عندي
لفضلاً من ماء اكتفي به يومي هذا إلى غد قالت ولكني والله ما عندي ماء فأخذت قلته ثم انطلقت
وحدها حتى دخلت المغارة فوجدت

(١) قصص الأنبياء وجه ٢٤١

عندها جبريل عليه السلام قد مثله الله لها بشراً سوياً فقال لها يا مريم إن الله قد بعثني إليك لأهب لك غلاماً زكياً. قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً أي مؤمناً مطيعاً قال علي بن طالب كرم الله وجهه علمت أن التقي ذو رحمة وخشية وهي تحسبه رجلاً من بني آدم قال عكرمة وكان جبريل عرض لها في صورة رجل شاب أمرد مضيء الوجه جعد الشعر سوي الخلق قالت الحكماء إنما أرسله الله تعالى في صورة البشر لتثبت مريم عليه وتقدر على استماع كلامه ولو نزل على صورته التي هو عليها لفزعت ونفرت منه ولم تقدر على استماع كلامه فلما استعادت منه مريم قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسنني بشر ولم أكُ بغياً قال كذلك قال ربك هو علي هين (الآية) فلما قال ذلك استسلمت لقضاء الله فنفخ في جيب درعها وكانت قد وضعتة عنها فلما انصرف عنها لبست مريم درعها وحملت بعبسى عليه السلام ثم ملأت قلنتها وانصرفت إلى المسجد^(١)

(١) قال السهيلي أحصنت فرجها يريد فرج القميص أي لم يتعلق

وقال السدي وعكرمة إن مريم عليها السلام كانت تكون في المسجد ما دامت طاهرة فإذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها حتى إذا طهرت عادت إلى المسجد فبينما هي تغتسل من الحيض وقد اتخذت مكاناً شرقياً أي مشرقاً لأنه كان في الشتاء في أقصر يوم في السنة

(قال الحسن) إنما اتخذت النصارى المشرق قبلة لأن مريم انتبذت مكاناً شرقياً فاتخذت فضربت من دونهم حجاباً أي ستراً وقال مقاتل جعلت الجبل بينها وبين قومها. فبينما هي كذلك في تلك الحالة إذ عرض لها جبريل وبشرها بعيسى ونفخ في جيب درعها قال وهب ولما اشتملت على عيسى كان معها ذو

بثوبها ربية فهي طاهرة الأثواب وفروج القميص أربعة الكمان والأعلى والأسفل فلا تذهين فكرك إلى غير هذا وهذا من لطيف الكناية لأن القرآن أنزه معنى وأوجز لفظاً وألطف إشارة وأحسن عبارة من أن يريد ما يذهب إليه وهم الجاهل لا سيما والنفخ من روح القدس بأمر القدوس فأضف القدس إلى القدوس ونزه المقدسة (مريم) عن الظن الكاذب والحدس « (حياة الحيوان الكبرى للدميري جزء ٢ وجه ٣٦٠)

قراية لها يُقال له يوسف النجار وكانا منطلقين إلى المسجد الذي عند جبل صهيون وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم وكانت مريم ويوسف النجار يخدمان ذلك المسجد وكان لخدمته فضل عظيم وكانا يلبان معالجته بأنفسهما وتجميره وتطهيره وكان لا يعلم في زمانهما أشد اجتهاداً أو عبادة منهما وكان أول من أنكر حملها ابن عمها وصاحبها يوسف النجار فلما رأى الذي بها استعظمه واستفطعه ولم يدِرِ ماذا يصنع من أمرها وكلمها أراد أن يتهمها ذكر صلاحها وعبادتها وبراعتها وأنها لم تغب عنه ساعة واحدة

قال وهب فلما ولد عليه السلام أصبحت الأصنام كلها بكل أرض متكوسة على رؤوسها ففزع الشياطين ولم يدروا لم ذلك فساروا مسرعين حتى جاءوا إلى إبليس لعنة الله وغضب عليه وهو على عرش له في لجة خضراء يتمثل بالعرش يوم كان على الماء فاتوه وقد خلت ست ساعات من النهار فلما رأى إبليس اجتماعهم فزع من ذلك ولم يرهم جميعاً منذ فرقهم قبل تلك الساعة وإنما كان يراهم أشتاتاً فسألهم فأخبروه انه حدث في الأرض

حدث فأصبحت الأصنام كلها منكوسة على رؤوسها ولم يكن شيء أعون على هلاك بني آدم منها لأنهم كانوا يدخلون في أجوافها فتكلمهم وتدبر أمرهم فيظنون أنها هي التي تكلمهم فلما أصابها هذا الحدث صغرها في أعين الناس وأذلها وقد خشينا أن لا يعبدوها بعد هذا واعلم إنا لم نكن نأتيك حتى أحصينا الأرض وقلبنا البحار وكل شيء فلم نزد بما رأينا إلا جهلاً فقال لهم إبليس فما يكون إلا أمر عظيم فكونوا مكانكم فطار إبليس عند ذلك ولبث عنهم ثلاث ساعات فمر فيهن بالمكان الذي وُلد فيه عيسى فلما رأى الملائكة محققين بذلك المكان علم أن ذلك الحدث فيه فأراد إبليس لعنه الله أن يأتيه من فوقه قال فإذا رؤوس الملائكة ومناكبهم إلى السماء ثم أراد أن يأتيه من تحت الأرض فإذا أقدام الملائكة راسية فأراد أن يدخل من بينهم فمنعوه عن ذلك يدل حديث النبي (صلعم) كل ابن آدم يطعن الشيطان في جنبه بإصبعه حين يولد إلا عيسى ابن مريم عليه السلام حجبه الله تعالى عنه فذهب يطعن فطعن في الحجاب فقال الكلبى احتمل يوسف النجار مريم وعيسى إلى غار فادخلهما

فيه أربعين يوماً حتى تعالت من نفاسها ثم جاء بها فأنتت مريم تحمله بعد أربعين يوماً فكلما عيسى في الطريق فقال يا أماه ابشري فإني عبد الله ومسيحه فلما دخلت على أهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين فقالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً فظيماً يا أخت هرون قال قتادة كان هرون رجلاً صالحاً من أتقياء بني إسرائيل وليس بهرون أخي موسى وذكروا انه تبع جنازته يوم مات ٤٠٠٠٠ من بني إسرائيل كلهم يُسمى هرون وقال وهب كان هرون من أفسق بني إسرائيل وأظهرهم فساداً فشبهوها به ما كان أبوك عمران أمراً سوء وما كانت أمك بغياً أي زانية فمن أين لك هذا الولد فأشارت لهم مريم إلى عيسى أن كلموه فغضبوا وقالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً قال وهب فأتاها زكريا عليه السلام عند مناظرتها اليهود وقال لعيسى انطق بحجتك إن كنت أمرت بها فقال عند ذلك عيسى عليه السلام وهو ابن أربعين يوماً إني عبد الله أتاني الكتاب الآية فآقرّ على نفسه بالعبودية أول ما تكلم تكذيباً للنصارى وإلزاماً للحجة عليهم وقال عمرو بن ميمون إن

مريم لما أنت قومها بعيسى أخذوا الحجارة وأرادوا أن يرموها فلما تكلم عيسى تركوها قالوا ثم لم يتكلم بشيء بعدها حتى كان بمنزلة غيره من الصبيان والله أعلم

(باب ذكر خروج مريم وعيسى عليهما السلام إلى مصر)

قال الله تعالى وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين قالوا كان مولد عيسى بعد مضي اثنين وأربعين سنة من ملك اغسطوس واحدى وخمسين سنة مضت من ملك الاشكانيين ملوك الطوائف وكانت المملكة في ذلك الوقت لملوك الطوائف وكانت الرياسة في الشام ونواحيها لقيصر ملك الروم وكان الملك عليها من قبل قيصر هيرودس فلما عرف هيرودس ملك بني إسرائيل خبر المسيح قصد قتله وذلك انهم نظروا إلى نجم قد طلع فعرفوا ذلك بحساب عندهم في كتاب لهم فبعث الله إلى يوسف النجار ملكاً وأخبره بما أراد هيرودس وأمره أن يهرب بالغلام وأمه إلى مصر وأوحى الله إلى مريم أن الحقي بمصر فإن هيرودس إن ظفر بابنك قتله فإذا مات هيرودس فارجعي إلى بلادك فاحتمل يوسف مريم وابنها

على حمار له حتى ورد أرض مصر هي الربوة التي قال الله تعالى وأويناها إلى ربوة ذات قرار ومعين (ذكر أبو إسحق الثعلبي في التفسير ذات قرار ومعين قال عبد الله بن سلام هي دمشق وقال أبو هريرة هي الرملة وقال قتادة هي بيت المقدس وقال كعب هي أقرب الأرض إلى السماء وقال أبو زيد هي مصر وقال الضحاك هي عرصة دمشق وقال أبو العلياء هي ايلياء وقال القرار الأرض المستوية والمعين الماء الطاهر فأقامت مريم بمصر اثنتي عشرة سنة تغزل الكتان وتلتقط السنبل في أثر الحصادين وكانت تلتقط السنبل والمهد في منكبها والوعاء الذي فيه السنبل في منكبها الآخر حتى تم لعيسى اثنتا عشرة سنة ورؤي عن محمد بن علي الباقر رضي الله عنه أنه قال لما ولد عيسى كان ابن يوم كأنه ابن شهر فلما كان ابن تسعة أشهر أخذت والدته بيده وجاءت به إلى الكتاب وأعدته بين يدي المؤدب فقال له المؤدب قل بسم الله الرحمن الرحيم فقالها عيسى فقال المؤدب قل أبجد فرفع عيسى عليه السلام رأسه فقال هل تدري ما أبجد فعلاه بالقضيب ليضربه فقال يا مؤدب لا تضربني إن كنت

تدري وإلا فاسألني حتى أفسر لك فقال له المؤدب فسر له لي فقال عيسى الألف لا إله إلا الله والباء بهجة الله والحيم جلال الله والبدال دين الله هوز الهاء هي جهنم وهي الهاوية والواو ويل لأهل النار والزاي زفير أهل جهنم حطي حط الخطايا عن المستغفرين كل من كلام الله غير مخلوق ولا مبدل لكلماته سعفص صاع بصاع والجزاء بالجزاء قرشت تفرشهم حين تحشرهم أي تجمعهم فقال المؤدب لأمه أيتها المرأة خذي ابنك فقد علم ولا حاجة له إلى المؤدب. قال رسول الله (صلعم) إن عيسى أرسلته أمه ليتعلم فقال له المعلم قل بسم الله فقال عيسى وما بسم الله قال المعلم ما أدري قال عيسى الباء بهاء الله والميم مملكته جل وعلا والله أعلم

في صفة عيسى وحليته عليه السلام

قال كعب الأحبار كان عيسى بن مريم رجلاً أحمر مائلاً إلى البياض ما هو سبط الرأس ولم يدهن رأسه قط وكان عيسى يمشي حافياً ولم يتخذ بيتاً ولا حلية ولا متاعاً ولا ثياباً ولا رزقاً إلا قوت يومه وكان حينما غابت الشمس صف قدميه

وصلى حتى يصبح وكان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله وكان يخبر قومه بما يأكلون في بيوتهم وما يدخرون لغد وكان يمشي على وجه الماء في البحر وكان أشعث الرأس صغير الوجه زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة حريصاً على عبادة الله وكان سياحاً في الأرض حتى طلبته اليهود وأرادوا قتله فرفعه الله إلى السماء والله أعلم

« في ذكر الآيات والمعجزات التي ظهرت لعيسى عليه السلام في صباه إلى أن نبئ »

قال وهب كان أول آية رآها الناي من عيسى أن أمه كانت نازلة في دار دهقان من أرض مصر أنزلها بها يوسف النجار حين ذهب بها إلى مصر وكانت دار ذلك الدهقان تأوي إليها المساكين فسرق للدهقان مال من خزانته فلم يتهم المساكين فحزنت مريم لمصيبة ذلك الدهقان فلما رأى عيسى حزن أمه لمصيبة صاحب ضيافتها قال لها يا أماه أتحبين أن أدله على ماله قالت نعم يا بني قال لها قولي له يجمع لي المساكين في داره فقالت مريم للدهقان ذلك فجمع له المساكين فلما اجتمعوا عمد إلى

رجلين منهم أحدهما أعمى والآخر مقعد فحمل المقعد على عاتق الأعمى وقال له قم به فقال الأعمى أنا أضعف من ذلك فقال له عيسى كيف قويت على ذلك البارحة فلما سمعوه يقول ذلك فقال له عيسى كيف قويت على ذلك البارحة فلما سمعوه يقول ذلك ضربوا الأعمى حتى قام فلما استقل قائماً هوى المقعد إلى كوة الخزانة فقال عيسى للدهقان هكذا احتالا على مالك البارحة لأن الأعمى استعان بقوته والمقعد بعينيه فقال الأعمى والمقعد صدق والله فردا على الدهقان ماله كله فأخذه الدهقان ووضعاه في خزانته وقال يا مريم خذي نصفه فقالت إني لم أخلق لذلك قال الدهقان فاعطيه لابنك قالت هو أعظم مني شأناً ثم لم يلبث الدهقان أن أعرس لابن له فصنع له عيداً فجمع عليه أهل مصر كلهم وكان يطعمهم شهرين فلما انقضى ذلك زاره قوم من أهل الشام ولم يعلم الدهقان بهم حتى نزولا به وليس عنده يومئذ شراب فلما رأى عيسى اهتمامه بذلك دخل بيتاً من بيوت الدهقان فيه صقان من جرار فأمر عيسى يده على أفواهها وهو يمشي فكلما أمر يده على جرة امتلأت شراباً حتى أتى عيسى على آخرها وهو يومئذ ابن اثنتي عشرة سنة (ولعل هذه القصة

تشير إلى قصة عرس قانا الجليل الواردة في إنجيل يوحنا الاصحاح الثاني وما أعظم الفرق بين الروايتين) (آية أخرى) قال السدي كان عيسى عليه السلام إذا كان في الكتاب يحدث الصبيان بما يصنع أبائهم ويقول للغلام انطلق فقد أكل أهلك كذا وكذا ورفعوا لك كذا وكذا وهم يأكلون كذا وكذا فينطلق الصبي إلى أهله فيبكي عليهم حتى يعطوه ذلك الشيء فيقولون له من أخبرك بهذا فيقول عيسى فحبسوا عنه صبيانهم وقالوا لا تلعبوا مع هذا الساحر فجمعوهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا ليسوا ههنا فقال لهم فما في البيت قالوا خنازير قال كذلك يكونون ففتح عنهم فإذا هم خنازير (وما ذنب الصبيان الأبرياء) ففشا ذلك في الناس فهتمت به بنو إسرائيل فلما خافت عليه أمه حملته على حمار لها وخرجت هاربة إلى مصر (مع أن المحقق أن الهروب كان وهو أقل من سنتين خوفاً من هيرودس) وذكر السدي آية أخرى قال لما خرج عيسى وأمه عليهما السلام يسبحان في الأرض إذ جاء بني إسرائيل ونزلا في قرية على رجل فأضافهما وأحسن إليهما وكان ملك ذلك الوقت جباراً عنيداً

فجاء ذلك الرجل يوماً مهتماً حزيناً فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت لها مريم ما شأن زوجك أراه حزيناً فقالت لها لا تسأليني فقالت أخبريني لعل الله يفرج كربته على يدي فقالت إن لنا ملكاً يجعل على كل رجل منا نوبة يطعمه ويسقيه الخمر هو وجنوده فإن لم يفعل عاقبة واليوم يومنا وليس عندنا سعة قالت فقولي له لا يهتم له بشيء فإنه قد أحسن إلينا واني أمر ابني أن يدعو له فيكتفي ذلك ثم قالت مريم لعيسى فقال إن فعلت ذلك يقع شر قالت لا تبالي لأنه أحسن إلينا وأكرمنا قال عيسى فقولي له إذا اقترب ذلك فاملاً قدورك وخوابيك ماءً ثم اعلمني ففعل ذلك فدعا عيسى فتحول ماء القدور لحماً ومرقاً وماء الخوابي خمراً لم ير الناس مثله قط فلما جاء الملك أكل فلما شرب سأل من أين هذا الخمر قال له من أرض كذا وكذا قال الملك فإن خمري قد أتى بها من تلك الأرض وليست مثل هذه فقال له من أرض أخرى فلما خلط على الملك وشبه عليه قال أخبرني على الحق قال فأنا أخبرك عندي غلام ما سأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه وأنه دعا الله تعالى فجعل الماء خمراً وكان للملك ابن يريد أن يستخلفه

فمات قبل ذلك بأيام وكان أحب الخلق إليه فقال الملك إن رجلاً دعا الله تعالى فجعل الماء خمراً
ليستجاب له حتى يحيي ابني فدعا عيسى وكلمه في ذلك فقال له عيسى لا تفعل لأنه إن عاش وقع
شر فقال الملك لا أبالي بعد أن أراه قال عيسى إن أحببته تتركوني أنا وأمي نذهب حيث نشاء قال
نعم فدعا الله تعالى فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكته قد عاش تبادروا بالسلاح وقالوا أكلنا هذا
حتى إذا دنا موته يريد أن يستخلف علينا ابنه فيأكلنا كما أكلنا أبوه فقتلوهما وذهب عيسى وأمه
(وآية معجزة ذكرها له الإنجيل نتج عنها شر ووبال كهذه وهل الله جل وعلا خادم للرجائب
الشريرة؟) وقال وهب (آية أخرى) بينما عيسى يلعب مع الصبيان إذ وثب غلام على صبي فوكزه
برجله فقتله فألقاه بين يدي عيسى وهو ملطخ بالدم فاطلع الناس عليه فاتهموه به فأخذوه وانطلقوا
به إلى قاضي مصر فقالوا له هذا قتل هذا فسأله القاضي لا أدري من قتله وما أنا بصاحبه فأرادوا
أن يبطشوا بعيسى عليه السلام فقال لهم ائتوني بالغلام فقالوا له ما تريد منه قال أريد أن أسأله من

قتله قالوا وكيف يكلمك وهو ميت فأخذوه وأتوا به إلى مقتل الغلام فأقبل عيسى على الدعاء فأحياه الله تعالى فقال له عيسى من قتلك قال قتلني فلان على الذي قتله فقال بنو إسرائيل من هذا قال هذا عيسى بن مريم قالوا فمن هذا الذي معه قال قاضي بني إسرائيل ثم مات الغلام من ساعته فرجع عيسى إلى أمه وتبعه خلق كثير من الناس فقالت له أمه يا بني ألم أنك عن هذا فقال لها إن الله حافظنا وهو أرحم الراحمين. وذكر عطاء (آية أخرى) قال سلمت مريم عيسى بعدما أخرجته من الكتاب إلى أعمال شتى فكان آخر ما دفعته إلى الصباغين فدفعته إلى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب مختلفات فعرض للرجل سفر فقال لعيسى إنك لقد تعلمت هذه الحرفة وأنا خارج في سفر لا أرجع إلى عشرة أيام هذه ثياب مختلفات الألوان وقد علمت كل واحد منها على اللون الذي يصنع به فأحب أن تكون فارغاً منها وقت قدومي ثم خرج فطبخ عيسى عليه السلام جياً واحداً على لون واحد وادخل فيه جميع الثياب وقال لها كوني بإذن الله تعالى على ما أريد منك فقدم الصباغ

والثياب كلها في جب واحد فقال يا عيسى ما فعلت قال فرغت منها قال أين هي قال في الجب قال كلها قال نعم قال كيف تكون كلها في جب واحد لقد أفسدت تلك الثياب قال قم فانظر فقام فأخرج عيسى ثوباً أصفر وثوباً أخضر وثوباً أحمر إلى أن أخرجها على الألوان التي أرادها فجعل الصباغ يتعجب وعلم أن ذلك من الله عز وجل فقال الصباغ للناس تعالوا انظروا إلى ما فعل عيسى عليه السلام فأمن به هو وأصحابه وهم الحواريون والله عز وجل أعلم (وما الضرورة لمخالفة السير الطبيعي في دائرة الأشغال الاعتيادية وهل هذا يوافق مبدأ الله الاقتصادي في سائر أعماله)

وذكر الدميري في كتاب حياة الحيوان الكبرى آية طفيفة أخرى عملها يسوع وهو غلام قال « روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال بينما عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام سائران إذ رأيا شاة وحشية ماخضاً فقال عيسى ليحيى قل تلك الكلمات حنة ولدت يحيى ومريم ولدت عيسى الأرض تدعوك يا ولد اخرج يا ولد قال حماد بن زيد فما يكون في الحي

امرأة ماخض فيقال هذا عندها فلا تبرح حتى تضع بإذن الله تعالى ويحيى أول من آمن بعيسى وصدقه وكانا ابني خالة فكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر ثم قتل يحيى قبل رفع عيسى عليه السلام « (حياة الحيوان الكبرى للدميري جزء ٢ وجه ٧٨)

ذكر رجوع مريم وعيسى عليهما السلام إلى بلادهما بعد موت هيرودس قال وهب لما مات هيرودس الملك بعد اثنتي عشرة سنة من مولد عيسى عليه السلام أوحى الله تعالى إلى مريم يخبرها بموت هيرودس ويأمرها بالرجوع مع ابن عمها يوسف النجار إلى الشام فرجع عيسى وأمه عليهما السلام وسكنا في جبل الجليل في قرية يُقال لها ناصرة وبها سميت النصارى وكان عيسى يتعلم في الساعة علم يوم وفي اليوم علم شهر وفي الشهر علم سنة فلما تمت له ثلاثون سنة أوحى الله تعالى أن يبرز للناس ويدعوهم إلى الله ويضرب لهم الأمثال ويداوي المرضى والزمنى والعميان والمجانين ويقمع الشياطين ويزجرهم ويذلهم وكانوا يموتون من خوفه ففعل ما أمره به فأحبه الناس ومالوا إليه واستأنسوا به وكثرت أتباعه وعلا ذكره وربما اجتمع عليه من المرضى والزمنى

في الساعة الواحدة خمسون ألفاً فمن أطاق منهم أن يمشي إليه مشى إليه ومن لم يطق وصل إليه عيسى عليه السلام وإنما كان يداويهم بالدعاء بشرط الإيمان ودعاؤه الذي كان يشفي به المرضى ويحيي به الموتى اللهم أنت الإله الذي في السماء والإله الذي في الأرض لا إله فيهما غيرك وأنت ملك من في السموات وملك من في الأرض لا إله فيهما غيرك وأنت حكيم من في السموات وحكيم من في الأرض لا إله فيهما غيرك قدرتك في الأرض كقدرتك في السماء وسلطانك في الأرض كسلطانك في السماء أسألك بأسمائك الكرام أنك على كل شيء قدير



الفصل الرابع

(عيسى في كتاب قصص الأنبياء مع ملاحظة قلة أهمية الأفعال المنسوبة إليه من خدمته الجهارية إلى
مجيئه الثاني)

قبل أن نعود إلى أقوال الثعلبي مرة أخرى يلزم أن نبين للقارئ الكريم موقف القرآن إزاء مسألة موت المسيح فإنه في بعض المحال كما بينا سابقاً يذكر موته بكل صراحة وفي غيرها ينفية تمام النفي وحتى يتخلص المفسرون من تهمة التناقض الواضحة ذهبوا إلى أنه مات ثلاث ساعات لكنه لم يصلب! وأضافوا إلى ذلك قولهم إنه عند مجيئه الثاني يموت مرة أخرى كأنهم يقرون بضعف طبيعته البشرية فيجعلونها عرضة لموت ثان عند مجيئه في اليوم الأخير وبذلك يخالفون كل تعاليم العهد الجديد القائلة إن المسيح تألم مرة واحدة من أجل الخطايا وليس للموت بعد سلطناً عليه «

والآن نعود بك إلى الحديث عن السيد المسيح مما جاء في كتاب الثعلبي

« قصة الحواريون عليهم السلام »

قال الله تعالى فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأننا مسلمون وقال الله عز وجل وإذ أوحيت إلى الحواريين أي ألهمتهم ووقفهم أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا وأشهد بأننا مسلمون اعلم أن الحواريين كانوا أصفياء عيسى بن مريم وأولياءه وأرضيائه وأنصاره ووزراءه وكانوا اثني عشر رجلاً وأسماؤهم شمعون الصفار المسمى بطرس واندراوس أخوه ويعقوب بن زبدي ويحيى أخوه وفيلبس وبرتولوماوس وتوما ومتى العشار ويعقوب ابن حلفا وليا (لاوي) الذي يُدعى تداوس وشمعون القناني ويهوذا الاسخريوطي عليهم السلام. واختلف العلماء فيهم لم سمّوا بذلك^(١) قال ابن عباس كانوا صيادين يصطادون

(١) لاحظ أنهم لم يدعوا في القرآن رسلاً بل حواريين وهي كلمة مشتقة من أصل حبشي معناه أرسل وقال البيضاوي إنها مشتقة من كلمة حور أي أبيض وذلك لخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم وقال آخرون سموا كذلك لأنهم كانوا يلبسون ثياباً بيضاً أو يصبغونها بالأبيض

السّمك فمر بهم عيسى فقال لهم ما تصنعون فقالوا نصطاد السمك فقال لهم ألا تمشون معي حتى نصطاد الناس قالوا له وكيف ذلك قال ندعو إلى الله قالوا ومن أنت قال أنا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله قالوا فهل يكون أحد من الأنبياء فوقك قال نعم النبي العربي فاتبعه أولئك وآمنوا به (وما المناسبة لذكر من فوقه في هذا التعارف؟ وهل كان إيمانهم لمجرد قوله لهم تعالوا دون أن يروا منه ما يدل على صدق دعواه؟)

قال السدي كانوا ملاحين قال ابن ارطاة كانوا قصارين سُموا بذلك لأنهم كانوا يحورون الثياب أي يبيضونها. أخبرنا بن فتحويه باسناده عن مصعب قال الحواريون اثنا عشر رجلاً اتبعوا عيسى فكانوا إذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده إلى الأرض سهلاً كان أو جبلاً فيخرج لكل إنسان رغيفين فيأكلهما وإذا عطشوا قالوا يا روح الله عطشنا فيضرب الأرض سهلاً كان أو جبلاً فيخرج الماء فيشربون فقالوا يا روح الله من أفضل منا إذا شئنا أطعمتنا وإذا شئنا أسقيتنا وآمنا بك واتبعتك قال أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه

قال فصاروا يعملون الثياب بالكراء قال ابن عون صنع ملك من الملوك طعاماً فدعا الناس إليه وكان عيسى على قصعة فكانت القصعة لا تنقص فقال له الملك من أنت قال أنا عيسى ابن مريم قال الملك إني أترك ملكي واتبعك فانطلق بمن اتبعه منهم وهم الحواريون وقيل هو الصباغ وأصحابه وقد مضت القصة قال الضحاك سموا حواريين لصفاء قلوبهم وقال عبد الله بن المبارك سموا حواريين لأنهم كانوا نوارنيين عليهم أثر العبادة ونورها وبياضها وبهاؤها وأصل الحور عند العرب شدة البياض ومنه الأحور والحور. وقال الحسن الحواريون الأنصار وقال قتادة هم الذين تصلح لهم الخلافة وقال النبي صلعم لكل نبي حواري وحواري الزبير إلى آخر ما جاء عن ذلك

« ذكر خصائص عيسى عليه السلام والمعجزات التي ظهرت على

يديه بعد مبعثه إلى أن رُفِعَ صلوات الله عليه »

منها تأييد الله إياه بروح القدس قال عز من قائل وأيدناه بروح القدس ونظيرها في سورة المائدة إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس

واختلفوا فيه قال الربيع عن أنس هو الروح الذي نفخ الروح إضافة سبحانه إلى نفسه تكريماً وتخصيصاً نحو بيت الله وناقة الله والقدس هو الله تعالى يدل عليه قوله تعالى وروح منه فنفخنا فيه من روحنا وقال آخرون أراد بالقدس الطهارة أي الروح الطاهرة وسمي عيسى عليه السلام روحاً لأنه لم تتضمنه أصلاب الفحول ولم تشتمل عليه أرحام الطوامث إنما كان أمراً من الله تعالى (ما أهم هذا التفسير لو تدبره كل مسلم وقبلة مؤمناً بالذي أرسله الله روحاً منه تعالى) وقال السدي وكعب روح القدس جبريل وتأيب عيسى بجبريل عليهما السلام هو أنه كان قرينه ورفيقه يعينه ويسير معه حيثما سار إلى أن صعد به إلى السماء (وأي التفسير بن أقرب لمدلول اللفظتين « منا » « ومنه » لينصف القارئ) وقال سعيد بن جبير وعبيد بن عمير هو اسم الله الأعظم وبه كان يحيي الموتى ويرى الناس العجائب (ولماذا لم يقدر غيره من الأنبياء أن يستعمل هذا الاسم الأعظم أليس لأن عيسى قال عن نفسه « أنا في الآب والآب في »

ومن خصائصه تعليم الله إياه الإنجيل والتوراة وكان

يقرأهما من حفظه كما قال الله تعالى وإذ علمتك الكتاب أي الخط قيل الخط عشرة أجزاء فتسعة منها لعيسى والحكمة والتوراة والإنجيل ومنها خلقه الطير من الطين كما قال الله تعالى مخبراً عنه إني قد جئكم بأية من ربكم إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وقال تعالى وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بأذني فكان يصور من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ولم يخلق غير الخفاش وإنما خص بالخفاش لأنه أكمل الطير خلقاً فيكون أبلغ في القدرة لأن له ثدياً وأسناناً ويلد ويحيض ويطير (قال وهب) كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه فإذا غاب عنهم سقط ميتاً ليتميز فعل الخلق عن فعل الله تعالى وليعلم أن الكمال لله عز وجل (إن الإنجيل لم يذكر له آية لم تكن ذات فائدة ولزوم محتم كإشباع خمسة آلاف شخص بخمس خبزات أو فتح عيني أعمى أما خلقه الطير من الطين فيعد لعباً وإسرافاً من غير ضرورة) ومن خصائصه ابراء الأكمه والأبرص كما قال تعالى وتيرى الأكمه والأبرص بأذني والأبرص الذي به وضح والأكمه الذي ولد

أعمى ولم يرَ ضوءاً قط وإنما خص هذين الاسمين لأنهما أعيا الأطباء وكان الغالب على زمان عيسى الطب فأراهم المعجزة من جنس ذلك ويروى أن عيسى عليه السلام مر بدير فيه عميان فقال ما هؤلاء فقيل هؤلاء قوم طلبوا للقضاء فطمسوا أعينهم بأيديهم فقال لهم ما دعاكم إلى هذا قالوا خفنا عاقبة القضاء فصنعنا بأنفسنا ما ترى فقال أنتم العلماء والحكماء والأخبار والأفاضل امسحوا أعينكم بأيديكم وقولوا بسم الله ففعلوا ذلك فإذا هم جميعاً قيام ينظرون (اقرأ يوحنا ٩)

ومنها إحياءه الموتى بإذن الله تعالى وإذ تخرج الموتى بإذني واحيا منهم أمواتاً منهم العازر وكان صديقاً له فأرسلت أخته إلى عيسى أن أخاك العازر يموت فأتاه وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام فأتاه هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام فقالوا لأخته انطلي بنا إلى قبره فانطلقت معهم إلى قبره وهو في صخرة مطبقة فقال عيسى اللهم رب السموات السبع والأرضين السبع إنك أرسلتني إلى بني إسرائيل ادعوهم إلى دينك وأخبرتهم أنني أحيي الموتى بإذنك فاحيي العازر فقام العازر وخرج من قبره

وبقي وولد له (اقرأ القصة كما وردت في إنجيل يوحنا ص ١١)

ومنها ابن العجوز وكانت القصة فيه أن عيسى مر في سياحته ومعه الحواريون بمدينة فقال إن في هذه كنزاً فمن يذهب يستخرجه لنا فقالوا يا روح الله لا يدخل هذه القرية أحد غريب إلا قتلوه فقال لهم عيسى مكانكم حتى أعود إليكم فمضى حتى دخل المدينة فوقف على باب فقال السلام عليكم يا أهل الدار غريب أطعموه فقالت له امرأة عجوز أما ترضى ادعك لا أذهب بك إلى الوالي حتى تقول أطعموني فبينما عيسى بالباب إذ أقبل الفتى ابن العجوز فقال له عيسى اضفني ليلتك هذه فقال له الفتى مثل مقالة العجوز فقال له عيسى أما إنك لو فعلت ذلك زوجتك بنت الملك فقال له الفتى اما أن تكون مجنوناً واما أن تكون عيسى بن مريم قال أنا عيسى فأضافه ويات عنده فلما أصبح قال له اغد وادخل على الملك وقل له جئت اخطب ابنتك فانه سيأمر بضربك واخراجك فمضى الفتى حتى دخل على الملك فقال له جئت إليك اخطب ابنتك فأمر بضربه فضرب واخرج فرجع الفتى إلى عيسى فأخبره الخبر فقال إذا كان غد

فأذهب إليه واخطب ابنته. فإنه ينالك بدون ذلك ففعل الفتى ما أمره عيسى فضربه دون ذلك الضرب الأول فرجع إلى عيسى فأخبره فقال ارجع إليه فإنه سوف يقول لك أنا أزوجك اياها على حكمي وحكمي قصر من ذهب وفضة وما فيه من ذهب وفضة وزبرجد فقل له افعل ذلك فإذا بعث معك أحداً فاخرج به فإنك سوف تجده فلا تحدث فيه شيئاً ثم إنه دخل على الملك فخطب فقال تصدقها بحكمي فقال وما حكمتك فحكمت بالذي سماه عيسى فقال نعم رضيت ابعت من يقبض ذلك فبعث معه رجلاً فسلم إليهم ما سأله الملك فتعجب الناس من ذلك فسلم إليه الملك ابنته فتعجب الفتى من ذلك وقال يا روح الله تقدر على مثل هذا وأنت على مثل هذه الحالة فقال له عيسى إني أثرت ما يبقى على ما يفنى فقال الفتى أنا أيضاً ادعه وأصحبك فتخلى عن الدنيا واتبع عيسى فأخذ عيسى بيده وأتى به أصحابه وقال لهم هذا الكنز الذي قلت لكم عنه فكان معه ابن العجوز إلى أن مات ومر به وهو ميت على سرير فدعا الله عيسى فجلس على سريرته ونزل من على أعناق الرجال ولبس الثياب وحمل

السريير على عنقه ورجع إلى أهله فبقي وولد له (اقرأ هذه القصة في إنجيل لوقا الاصحاح السابع عدد ١١ — ١٦ وقابل بين جلال وهيبة المشهد وسمو المقصد في الإنجيل وبين ما جاء في هذا الحديث من الألاعيب الصبيانية)

ومنها ابنة العشار رجل كان يأخذ العشر قيل له أتحيبها وقد ماتت بالأمس فدعا الله عز وجل فعاشت وبقيت وولد لها (اقرأ قصة إحياء ابنة يائرس في لوقا ٨: ٤٩ — ٥٦)

ومنها سام بن نوح قال له الحواريون وهو يصف لهم سفينة نوح قالوا له لو بعثت لنا من شهد السفينة فينعت لنا ذلك فقام وأتى تلاً فضرب بيده وأخذ قبضة من تراب وقال هذا قبر سام بن نوح إن شئتم أحببته لكم قالوا نعم فدعا الله باسمه الأعظم وضرب التل بعصاه وقال احبي باذن الله. فخرج سام بن نوح من قبره وقد شاب نصف رأسه فقال أقدمت القيامة قال لا ولكنني دعوتك باسم الله الأعظم قال ولم يكونوا يشيرون في ذلك الزمان وكان سام قد عاش خمسمائة سنة وهو شاب ثم أخبرهم بخبر السفينة فقال له عيسى مت فقال بشرط أن

يعيذني الله من سكرات الموت فدعا الله عيسى عليه السلام ففعل ذلك وقد ذكر هذا الخبر في قصة نوح عليه السلام (وهل من يقدر أن يحيي ساماً غير قادر أن يصف السفينة لحواريه. وهل هي مسألة مهمة بهذا المقدار تستدعي إقامة شخص مات منذ ألوف من الأعوام. ومع ذلك فهذه قدرة لم تكن لغيره من بني آدم أجمعين فلماذا ميزه الله عنهم وجعل له وحده هذه القدرة الفائقة؟)

ومنها عزير عليه السلام قالوا لعيسى عليه السلام أحياه وإلا أحرقتك بالنار وجمعوا له حطباً كثيراً من حطب الكرم وكانوا في ذلك الوقت يدفنون موتاهم في صناديق من حجارة مطبقة فوجدوا قبر عزير مكتوباً على ظهره اسمه فعالجوه ليفتحوه فلم يقدرُوا أن يخرجوه من قبره فرجعوا إلى عيسى فاخبروه فناولهم اناء فيه ماء وقال لهم انضحوا قبره بهذا الماء ففعلوا فانفتح الطبق فاتوا به عيسى وهو في أكفانه والأرض لا تأكل أجساد الأنبياء ثم إنه نزع ثيابه عنه ثم جعل ينضح على جسده الماء ولحمه وشعره ينبت ثم قال احيي يا عزير بإذن الله تعالى فإذا هو جالس

وكل ذلك تراه أعينهم فقالوا لعزير ما تشهد لهذا الرجل يعنون عيسى فقال أشهد أنه عبد الله
ورسوله فقالوا يا عيسى ادع لنا ربك ليبيقيه لنا ليكون بين أظهرنا حياً فقال عيسى ردوه إلى قبره
فردوه إلى قبره فعاد ميتاً فأمن بعيسى بن مريم من آمن وعاند من عاند

(وإننا نختم معجزات إحياء الموتى بالمعجزة التالية المذكورة في كتابة حياة الحيوان
الكبرى للدميري الجزء الأول و صفحة ٣٩٦) قال ذكر أهل التاريخ وأصحاب السير أن رجلاً من
بني اسرائيل اسمه اسحق في زمن عيسى بن مريم عليهما السلام كان له ابنة عم من أجمل أهل
زمانها وكان مقترناً بها فماتت فلزم قبرها ومكث زماناً لا يتفر عن زيارته فمر به عيسى يوماً
وهو على قبرها يبكي فقال له عيسى عليه السلام ما يبكيك يا إسحق فقال له يا روح الله كانت لي
ابنة عم وهي زوجتي وكنت أحبها حباً شديداً وإنما قد توفيت وهذا قبرها وإني لا أستطيع الصبر
عنها وقد قتلتني فراقها فقال له عيسى أتحب أن أحييها لك بإذن الله قال نعم يا روح الله فوقف
عيسى على القبر وقال قم يا صاحب

هذا القبر بإذن الله فانشق القبر وخرج منه عبد أسود والنار خارجة من مناخره وعينيه ومنافذ وجهه وهو يقول لا إله إلا الله عيسى روح الله وكلمته وعبدته ورسوله فقال إسحق يا روح الله وكلمته ما هذا القبر الذي فيه زوجتي وإنما هو هذا وأشار إلى قبر آخر فقال عيسى للأسود ارجع إلى ما كنت فيه فسقط ميتاً فواروه في قبره ثم وقف على القبر الآخر وقال قم يا ساكن هذا القبر بإذن الله فقامت المرأة وهي تنتثر التراب عن وجهها فقال عيسى أهذه زوجتك قال نعم يا روح الله قال خذ بيدها وانصرف فأخذها ومضى فأدركه النوم فقال لها إنه قد قتلني السهر على قبرك وأريد أن آخذ لي راحة قالت افعل فوضع رأسه على فخذهما ونام فبينما هو نائم إذ مر عليها ابن الملك وكان ذا حسن وجمال وهيئة عظيمة ركباً على جواد حسن فلما رأته هويته وقامت إليه مسرعة فلما نظرها وقعت في قلبه فأنتت إليه وقالت خذني فأردفها على جواده وسار فاستيقظ زوجها فلم يرها فقام يطلبها وقص أثر الجواد فادركهما وقال لابن الملك أعطني زوجتي وابنة عمي فقالت ما أعرفك وما أنا إلا جارية

ابن الملك فقال له ابن الملك أفتريد أن تفسد جاريتي فقال والله إنها لزوجتي وإن عيسى ابن مريم أحيها لي بإذن الله بعد أن كانت ميتة فبينما هم في المنازعة إذ مر عيسى صلى الله عليه وسلم فقال إسحق يا روح الله أما هذه زوجتي التي أحببتها لي بإذن الله قال نعم فقالت يا روح الله إنه يكذب وإني جارية ابن الملك وقال ابن الملك هذه جاريتي قال عيسى ألسنت التي أحببتها بإذن الله قالت لا والله يا روح الله قال فردي علينا ما أعطيناك فسقطت ميتة فقال عيسى من أراد أن ينظر إلى رجل أماته الله كافراً ثم أحياه وأماته مسلماً فلينظر إلى ذلك الأسود ومن أراد أن ينظر إلى امرأة أماتها الله مؤمنة ثم أحيها وأماتها كافرة فلينظر إلى هذه وإن اسحق الإسرائيلي عاهد الله تعالى أن لا يتزوج أبداً وهام على وجهه في البراري باكياً (ملاحظة هل يعقل على علم الله السابق أن يميت كافراً لينجيه بطريق الغلط ويرده إلى الإيمان ويميت مؤمنة ثم يحييها بإذنه ليमितها كافرة وما درس الذي استفاده الأحياء من هذه المناورة الغير مطابقة لحكمة الباري ورحمته)

ومنها إخباره عليه السلام عن الغيوب قال الله عز وجل إخباراً عنه وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم قال الكلبي لما ابرأ عيسى الأكمه والأبرص وأحيا الموتى قالوا هذا ساحر ولكن اخبرنا بما نأكل وما ندخر فنؤمن به فكان يخبر الرجل بما يأكل في غدائه وبما يأكل في عشائه (ومنها) مشيه عليه السلام على الماء. يُروى أنه خرج في بعض سياحاته ومعه رجل من أصحابه قصير وكان كثير اللزوم لعيسى فلما انتهى عيسى إلى البحر قال بسم الله بصحة ويقين فمشى على وجه الماء فقال القصير بسم الله بصحة ويقين فمشى على وجه الماء فداخله العجب فقال هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء قال فانغمس في الماء فاستغاث بعيسى فتناوله عيسى من الماء وأخرجه وقال له ما قلت يا قصير فأخبره بما خامر خاطره فقال له عيسى لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعتك فيه الله فمقتك الله على ما قلت فتب إلى الله مما قلت فتاب الرجل وعاد إلى مرتبته التي وضعه الله فيها وحدثنا الإمام أبو منصور الخمشاوي بإسناده عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلعم قال لو عرفتم الله

حق معرفته لعلمتم العلم الذي ليس بعده جهل وما بلغ ذلك أحد قط قالوا ولا أنت يا رسول الله قال
ولا أنا قالوا يا رسول الله قد بلغنا أن عيسى بن مريم مشى على الماء قال نعم ولو ازداد خوفاً
ويقيناً لمشى على الهواء قالوا يا رسول الله ما كنا نرى أن الرسل تقصر قال إن الله تعالى أبلغ
شأناً من أن يبلغ أحد شأنه

« ذكر حديث جامع في هذا الباب »

قال وهب خرج عيسى عليه السلام يسيح في الأرض فصحبه يهودي وكان مع ذلك
اليهودي رغيفان ومع عيسى رغيف فقال له عيسى تشاركني في طعامك قال له اليهودي نعم فلما
رأى أنه ليس مع عيسى إلا رغيف واحد ندم فقام عيسى إلى الصلاة فذهب صاحبه وأكل رغيفاً
فلما قضى عيسى صلاته قدما طعامهما فقال لصاحبه أين الرغيف الآخر فقال ما كان إلا رغيف
واحد فأكل عيسى رغيفاً وصاحبه رغيفاً ثم انطلقا فجاءا إلى شجرة فقال عيسى لصاحبه لو أننا
بتنا تحت هذه الشجرة حتى نصبح فقال افعل فباتا ثم أصبحا منطلقين فلقيا أعمى فقال له أرأيت ان
أنا عالجتك حتى يرد الله عليك بصرك فهل تشكره

قال نعم فمس عيسى بصره ودعا الله له فإذا هو صحيح فقال عيسى لليهودي بالذي أراك الأعمى بصيراً كم كان معك من رغيف فقال والله ما كان إلا رغيف واحد فسكت عيسى عنه ثم عمل عيسى معجزة بعد معجزة في خبر يطول شرحه والغرض من كل هذه الآيات حتى يؤمن اليهودي به وأخيراً عوقب اليهودي لأجل شراسته إذ خسفت به الأرض وانطلق عيسى عليه السلام

« ذكر نزول المائدة »

قال الله تعالى إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين الآية. واختلف العلماء في صفة نزول المائدة وكيفيتها وما كان عليها فروى قتادة عن جابر عن عمار بن ياسر عن رسول الله صلعم أنه قال نزلت المائدة عليها خبز ولحم وذلك أنهم سألوا عيسى طعاماً يأكلون منه ولا ينفد قال فقال لهم إني فاعل ذلك وإنها مقيمة لكم ما لم تخبئوا أو تخونوا فإن فعلتم ذلك عذبتكم قال فما مضى يومهم حتى خانوا وخبأوا وفي بعض الروايات أن بعضهم سرق منها وقال لعلها لا تنزل أبداً فرفعت ومسخوا

قردة وخنزير وقال ابن عباس قال عيسى لبني إسرائيل صوموا ثلاثين يوماً ثم سلوا الله ما شئتم يعطيكموه فصاموا ثلاثين يوماً فلما فرغوا قالوا يا عيسى إنا إن عملنا لأحد فقضينا عمله أطعمنا طعاماً وانا صمنا وجعنا فادع الله أن ينزل علينا مائدة من السماء فلبس عيسى المسوح وافترش الرماد ثم دعا الله تعالى فقال اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء الآية. فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات ووضعتها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم وروى عطاء بن السائب وغيره أنه كانت المائدة إذا وضعت لبني إسرائيل اختلفت عليها الأيدي فيها كل الطعام إلا اللحم وقال عطية العوفي نزلت سمكة من السماء فيها طعم كل شيء وقال قتادة كانت مائدة تنزل من السماء وعليها ثمر من أثمار الجنة وكانت تنزل عليهم بكرة وعشية حيث كانوا كالمن والسلوى لبني إسرائيل وقال وهب انزل الله أقرصة من شعير وحيثاناً فقيل لوهب ما كان ذلك يغني عنهم من شيء قال بلى ولكن الله ضعف لهم البركة فكان قوم يأكلون ثم يخرجون ويجيء آخرون فيأكلون حتى أكلوا

بأجمعهم وفضل. وقال كعب الأحبار نزلت مائدة من السماء منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والأرض عليها كل طعام إلا اللحم وقال مقاتل والكلبي استجاب الله لعيسى عليه السلام فقال إني منزلها عليكم كما سألتكم فمن أكل من ذلك الطعام ثم لم يؤمن جعلته مثلاً ولعنةً وعبرةً لمن بعدهم قالوا قد رضينا فدعا شمعون الصفار وكان أفضل الحواريين فقال هل معك طعام فقال معي سمكتان صغيرتان وستة أرغفة فقال عليّ بها فقطعها عيسى قطعاً صغاراً وقال اقعدوا في روضة وترافقوا رفاقاً كل رفقة عشرة ثم قام عيسى ودعا الله تعالى فاستجاب له وانزل فيها البركة فصار خبزاً صحاحاً وسمكاً صحاحاً ثم قام عيسى يمشي فجعل يلقي في كل رفقة ما حملت أصابعه ثم قال كلوا باسم الله فجعل الطعام يكثر حتى بلغ ركبهم فأكلوا ما شاء الله وفضل والناس خمسة آلاف ونيف وقال الناس جميعاً شهدنا أنك عبد الله ورسوله ثم سأله مرة أخرى فأنزل الله خمسة أرغفة وسمكتين فصنع بها ما صنع في المرة الأولى فلما رجعوا إلى قراهم ونشروا هذا الحديث ضحك منهم من لم يشهد فقال ويحكم إنما سحر

أعينكم فمن أراد الله به الخير ثبته على بصيرة ومن أراد فتنته رجع إلى كفره فمسخوا قرده
وخنازير ليس منهم صبي ولا امرأة فمكثوا كذلك ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم
يشربوا وكذلك كل ممسوخ (راجع قصة إشباع الخمسة الآلاف الواردة في مرقس ٦: ٣٤ - ٤٤
مع هذه الأقوال المتضاربة وانظر الفرق بينهما)

قال عطاء بن أبي رباح عن سليمان الفارسي أنه قال والله ما تبع عيسى من المساوي ولا
انتهر يتيماً ولا فهقه ضاحكاً ولا ذب ذباباً عن وجهه ولا أخذ على أنفه مرتين شيئاً قط ولا عبث
قط ولما سأله الحواريون أن ينزل عليهم الموائد صنوفاً قال اللهم انزل علينا مائدة من السماء
الآية. وارضقنا عليها طعاماً نأكل وأنت خير الرازقين فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من
فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون إليها وهي تهوي منقضة حتى سقطت بين أيديهم فبكى
عيسى وقال الله اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وهم ينظرون
إليها فنظروا إلى شيء لم يروا مثله قط ولم يجدوا ريحاً أطيب من

رائحة ذلك فقال عيسى لهم أحسنكم عملاً يكشف عنها ويذكر اسم الله ويأكل منها فقال شمعون الصفار رأس الحواريين أنت أولى بذلك منا فقام عيسى وتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى كثيراً ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فإذا هو بسمكة مشوية ليس عليها فلوس ولا شوك فيها تسيل سيلاناً من الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحواليها من أنواع البقول ما خلا الكراث وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخرة فقال عيسى عليه السلام ليس ما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة ولكن افتعله الله بالقدره الغالبة كلوا مما سألتم يمددكم ويزدكم من فضله قالوا يا روح الله لو رأيتنا من هذه الآية آية أخرى فقال عيسى يا سمكة احيي بإذن الله فاضطربت السمكة وعاد عليها فلوسها وشوكها ففزعوا منها فقال عيسى ما لكم تسألون أشياء إذا أعطيتموها كرهتموها ثم قال فما أخوفني عليكم أن تعذبوا يا سمكة عودي

كما كنت بإذن الله فعادت السمكة مشوية كما كانت قالوا يا روح الله كن أول من يأكل منها ثم نأكل نحن فقال عيسى معاذ الله ان آكل منها ولكن يأكل منها من سألها فخافوا أن يأكلوا منها فدعا لها عيسى أهل الفاقة والمرضى وأهل البرص والجذام والمبتلين وقال كلوا من رزق الله ولكم الهناء ولغيركم البلاء فأكلوا منها وصدر عنها ألف وتلثماية رجل وامرأة من فقير وزمن ومريض ومبتلي كلهم شبعان يتجشأ ثم نظر عيسى إلى السمكة فإذا هي كهيئتها حين نزلت من السماء ثم طارت المائدة سعدى وهم ينظرون إليها حتى توارت عنهم فلم يأكل منها يومئذ مريض إلا برئ ولا زمن إلا صح ولا مبتلي إلا عوفي ولا فقير إلا استغنى ولم يزل غنياً حتى مات وندم الحواريون ومن لم يأكل وكانت إذا نزلت اجتمعت الأغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء يزدحمون عليها فلبثت أربعين صباحاً تنزل ضحى فلا تزال منصوبة يؤكل منها حتى إذا فاء الغني طارت سعدى وهم ينظرون حتى تغيب عنهم وكانت تنزل غيباً تنزل يوماً ولا تنزل يوماً كناقاة ثمود فأوحى الله تعالى إلى عيسى أن أجعل

مأندتي ورزقي للفقراء دون الأغنياء فعظم ذلك على الأغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها فقالوا أترون المائدة تنزل من السماء حقاً فقال لهم عيسى هلكنم فثمروا لعذاب الله فأوحى الله تعالى إلى عيسى إني شرطت على المكذبين شرطين إن من كفر بعد نزولها عذبتة عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين فقال عيسى عليه السلام أن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم فمسخ منهم ثلثماية وثلاثون رجلاً باتوا من ليلتهم على الفراش مع نسائهم في ديارهم فاصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات ويأكلون القاذورات في الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا إلى عيسى بن مريم فبكوا وبكى على الممسوخين أهلهم فلما أبصرت الخنازير عيسى بكت وجعلت تطوف به فجعل عيسى يدعوهم بأسمائهم واحداً بعد واحد فييكون ويشيرون برؤوسهم ولا يقدرين على الكلام فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا

رفعه إلى السماء

(ومنها) رفعه إلى السماء إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك

ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا الآية. وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم إلى قوله تعالى بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً

روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن عيسى عليه السلام استقبل رهطاً من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة الفاعل ابن الفاعلة فقتلوه وأمه فلما رأى ذلك عيسى دعا عليهم فقال اللهم أنت ربي وأنا من روحك خرجت وبكلمتك خلقت ولم آتهم من تلقاء نفسي اللهم العن من سبني وسب أمي فاستجاب الله دعاءه ومسح الذين سبوه وأمه خنازير فلما رأى ذلك رأس اليهود وأميرهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى فاجتمعوا عليه ذات يوم وجعلوا يسألونه فقال يا معاشر اليهود أن الله يبغضكم فغضبوا من مقالته غضباً شديداً وثاروا عليه ليقتلوه فبعث الله تعالى إليه جبريل عليه السلام فأدخله خوخة وواراه في سقفاها ورفع الله تعالى من روزنته فأمر رأس اليهود رجلاً من أصحابه يُقال له

فلطيانوس أن يدخل الخوخة فيقتله فلما دخل فلطيانوس لم يرَ عيسى فابطأ عليهم فظنوا أنه يقاتله فيها فألقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا أنه عيسى فقتلوه وصلبوه

وقال وهب إن عيسى لما أعلمه الله تعالى إنه خارج من الدنيا جزع من الموت وشق عليه فدعا الحواريون وصنع لهم طعاماً وقال احضروني الليلة فلي إليكم حاجة فلما اجتمعوا إليه من الليل عشاهم وقام يخدمهم فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديهم ويوصيهم ويمسح أيديهم بتيابيه فتعاضموا ذلك وتكارهوه فقال إلا من رد علي شيئاً مما اصنع فليس مني ولا أنا منه فأفروه حتى إذا فرغ من ذلك قال لهم أنا ما صنعت بكم الليلة عما خدمتكم على الطعام وغسلت أيديكم بيدي إلا ليكون لكم بي أسوة وأنكم ترون أنني خيرتكم فلا يتعاضم بعضكم على بعض وليبذلن بعضكم نفسه لبعض كما بذلت نفسي لكم (وما معنى بذل النفس إلا الموت كما جاء في الكتاب المقدس في أماكن عديدة) وأما الحاجة التي استعنتكم عليها فتدعون الله لي وتجتهدون في الدعاء أن يؤخر أجلي فلما نصبوا أنفسهم للدعاء وأرادوا أن

يجتهدوا أرسل الله عليهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاء فجعل يوقظهم ويقول سبحان الله ما تصبرون في ليلة واحدة وتعينونني فيها فقالوا والله ما ندري ما لنا لقد كنا نسهر فنكثر السهر وما نطيق الليلة سهراً وما نريد دعاء إلا حيل بيننا وبينه فقال يذهب الراعي وتبقى الغنم وجعل يأتي بكلام مثل هذا يعني نفسه ثم قال ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات وليبيني أحدكم بدراهم يسيرة وليأكلن ثمني فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فأخذوا شمعون أحد الحواريين فقالوا هذا من أصحابه فجدد وقال ما أنا من أصحابه فتركوه ثم أخذ آخر فجده كذلك ثم سمع صوت الديك فبكى وأحزنه ذلك فلما أصبح أتى أحد الحواريين أولئك اليهود فقال لهم ما تجعلون لي إن دللتكم عليه فجعلوا له ثلاثين درهماً فأخذها ودلهم عليه وكان شبه عليهم قبل ذلك فأخذوه واستوثقوا منه وربطوه بالحبل وجعلوا يقودونه ويقولون أنت كنت تحيي الموتى وتبرئ الأكمه والأبرص أفلا تفك نفسك من هذا الحبل ويصقون عليه ويلقون عليه الشوك ثم إنهم نصبوا له خشبة ليصلبوه عليها فلما

أتوا به الخشبة ليصلبوه أظلمت الأرض وأرسل الله الملائكة فحالوا بينهم وبين عيسى وألقى شبهه عيسى على الذي دلهم عليه واسمه يهوذا فصلبوه مكانه وهم يظنون أنه عيسى وتوفى الله عيسى ثلاث ساعات ثم رفعه إلى السماء فذلك قوله تعالى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا فلما صلب الذي هو شبه عيسى جاءت مريم أم عيسى وامرأة كان عيسى دعا لها وابراها من الجنون يبكيان عند المصلوب فأتاها عيسى وقال على من تبكيان فقالنا عليك فقال إن الله تعالى رفعني فلم يصبني الأخير وإن هذا شخص شبه لهم

وقال مقاتل إن اليهود وكلوا بعيسى رجلاً يكون عليه رقيباً يدور معه حينما دار فصعد عيسى الجبل فجاءه الملك فرفعه إلى السماء وألقى الله تعالى شبه عيسى على الرقيب فظن اليهود أنه عيسى فأخذوه وكان يقول لهم إني لست عيسى إني فلان ابن فلان فلم يصدقوه وقتلوه وصلبوه قال قتادة ذكر لنا أن نبي الله عيسى قال لأصحابه أيكم يقذف عليه شبيهي فإنه مقتول فقال رجل من القوم أنا يا نبي الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفع

إليه وقيل إن الذي شبه بعيسى وصلب مكانه رجل إسرائيلي يُسمّى اشيوخ بن قنديير والله أعلم (ولماذا ننسب هذا التحايل والخداع لله عز وجل والمسألة لا تقتضي كل ذلك لأن عيسى جاء لهذا الغرض لا سواه وبما أنه ثبت صدق دعواه النبوة بالآيات الباهرات التي لم يعملها نبي مثله وصدقت أقواله التي سبق وأنبأ بها بطرس وغيره فهو أنبأ بموته وقيامته وصعوده وقد قال لهذا خرجت من عند أبي ولهذا جئت إلى العالم فلم لا نصدقته ونبتدع على الله عز وجل حياءً ومواربات مثل هذه سبحانه تعالى عنه)

« نزول عيسى عليه السلام من السماء بعد رفعه بسبعة أيام »

قال وهب وغيره من أهل الكتب لما رفع الله عيسى عليه السلام لبث في السماء سبعة أيام ثم قال الله إن أعداءك اليهود اعجلوك عن العهد إلى أصحابك فأنزل عليهم وأوصهم واهبط على مريم المجدلانية إنه لم يبك عليك أحد بكاءها ولم يحزن عليك أحد حزنها فأنزل عليها وأخبرها أنها أول من تلحق بك وأمرها أن تجمع لك الحواريين فتنبئهم في الأرض دعاة إلى الله تعالى

وكانت قصة مريم المجدلانية أنها كانت من بني إسرائيل في قرية من قرى انطاكية يُقال لها مجدلان وكانت امرأة صالحة وكانت تستحاض فلا تطهر فخطبها أشراف بني إسرائيل فامتنعت فظنوا أنها ترفعت بنفسها عنهم ولم يكن ذلك ترفعاً وإنما أرادت إخفاء علتها عنهم فلما سمعت بمجيء عيسى عليه السلام وبما كان يشفي الله على يديه من المرضى والزمنى أقبلت إليه رجاء الشفاء فلما رأت عيسى وما ألبسه الله من الهيبة استحيت وانصرفت إلى ورائه ووضعت يدها على ظهره فقال عيسى لقد مسني ذو عاهة بنية حسنة ولقد أعطاه الله ما رجاه وطهره بطهارتي فأذهب الله عنها ما بها وبرأت وطهرت (خلط بين النازفة ومريم المجدلية) فلما أمر الله عيسى بالنزول عليها بعد سبعة أيام من رفعه هبط عليها فأشتعل الجبل حين هبط نوراً فجمعت له الحواريين فبثهم في الأرض دعاة إلى الله ثم رفعه الله وكساه الریش وألبسه النور وقطع منه شهوة المطعم والمشرب فهو يطير مع الملائكة حول العرش فكان أنسياً ملكياً أرضياً سماوياً (ونحن نقول أنه إنسان تام وإله تام) وتفرق الحواريون حيث أمرهم

فتلك الليلة التي أهبط فيها هي الليلة التي تزخر بها النصارى قالوا فوجه بطرس إلى رومية واندراوس ومتى إلى الأرض التي يأكل أهلها الناس وتوما وليا إلى أرض المشرق وفيلبس ويهوذا إلى القيروان وافريقية ويحيى إلى أفسوس قرية أصحاب الكهف واليعقوبين إلى أورشليم وهي ايلياء أرض بيت المقدس وبرتوماوس إلى الاعرابية وهي أرض الحجاز وشمعون إلى أرض بربر فأصبح كل واحد من الحواريين الذين بعثهم يحدث بلغة من أرسله عيسى إليهم (إذا لم تكن رسالة عيسى قاصرة على بني إسرائيل والألما كان أرسل حواريه إلى كل أقصاء العالم من عرب وعجم وبربر يدعون الناس إلى الله على طريقته ولو لم يكن الله قاصداً أن تنتشر دعوته في كل أقصاء الأرض لما كان أقامه من بين الأمم أو حسب قولهم أنزله من السموات مرة أخرى ليجمع إليه حواريه ويأمرهم بالتبشير للخليفة كلها وإن كان بعثة الحواريين بتدبير من الله وبارشاد منه فلماذا لا نقبل قولهم وندين بدين الله الذي جالوا في العالم ينادون به) (هـ)

إلى هنا تنتهي قصة الثعلبي ولا تحتاج إلى ملاحظة لأن

خرافاتها عجيبة غريبة لا يلتفت إليها المسلم النبيه

وقد جاءت أحاديث عديدة عن موت المسيح وقيامته ورجوعه تزيد المسألة غموضاً
ومسحاً قال وهب إن عيسى عند موته أمر شمعون الصفار ويحيى أن يلتزما أمه ولا يفارقاها
فانطلقا ومعهما مريم إلى ماروت ملك الروم يدعونه إلى الله تعالى وقد بعث الله تعالى إليه قبل
ذلك يونس عليه السلام فلما أتوه أمر بشمعون واندراوس فقتلا وصلبا منكسين وهربت مريم
ويحيى حتى إذا كانا في بعض الطريق ألحقهما الطلب فخافا فأنشقت لهما الأرض فغابا فيها وأقبل
ماروت ملك الروم وأصحابه فحفروا ذلك الموضع فلم يجدوا شيئاً فردوا التراب على حاله وعلموا
أنه أمر من الله تعالى فسأل ملك الروم على حال عيسى فاخبروه به فأسلم كما ذكرنا والله أعلم

قال أبو هريرة قال رسول الله صلعم والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم
حكماً عادلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى
يكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها. ويترك

القلاص فلا تسعى عليها ولتذهبن الشحاء والتباغض والتحاسد وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد (إن ما ذكر مما ورد في الكتاب المقدس عن مجيء المسيح الثاني أما ما سيأتي فهو خبط لا أصل له) قال ينزل عيسى ابن مريم إلى الأرض فيتزوج ويولد له ويمكث خمساً وأربعين سنة ثم يموت فيدفن معي في قبوري فأقوم أنا وعيسى ابن مريم في قبر واحد بين أبي بكر وعمر

وقد قال برتون الرحالة العظيم الذي زار مكة ما معناه:

« إنه أمر مشاع إنه يوجد في الحجرة مكان خال يسع واحداً فقط محفوظاً لعيسى بن مريم ليدفن فيه عند مجيئه الثاني قال أبو هريرة قال رسول الله صلعم إذا أهبط الله المسيح عيسى يعيش في هذه الأمة ما يعيش ثم يموت في مدينتي هذه ويدفن إلى جانب قبر عمر فطوبى لأبي بكر وعمر يحشران بين نبيين وتوجد أحاديث عديدة تدل على أن عثمان والإمام حسن رضي الله عنهما رغبا أن يدفنا هناك وأن عائشة رضي الله عنها التي كانت الحجرة تخصها وافقت على طلبهما ولكن لم تتم لهما

أمنيتهما لأنه لم يدفن ابن آدم فيها ومعلوم أن الحجرة التي دفن فيها محمد كانت خاصة بعائشة وهي الآن كناية عن مربع غير منتظم ساحته خمسة وخمسون قدماً يفصلها عن جامع محمد طريق عرضه ٢٦ قدماً وفي داخل الحجرة يوجد ثلاث منامات يظن أنها لمحمد وأبي بكر وعمر ويحيط بالثلاث جدران حجر ويقول البعض إنه جدار من ألواح سميكة قوية وكيفما كان فإنها مغطاة بسجف ومحاطة بسور من حديد ملون بألوان خضراء وذهبية وبين السور والجدار الداخلي فسحة مظلمة وفوق الحجرة قبة خضراء يعلوها هلال كبير مذهب. وتوجد أقوال متضاربة بين علماء المسلمين بخصوص محتويات هذه الحجرة فيقول البعض إن فاطمة بنت النبي مدفونة فيها أيضاً في جانب منفصل عن الثلاثة ويقولون إن محمداً نائم فيها على جنبه الأيمن وراحته اليمنى تحت خده الأيمن ووجهه نحو مكة ووراءه تماماً أبو بكر ووجهه نحو كتف محمد ثم عمر بذات الوضع والاتجاه ثم المكان المتروك لعيسى حتى يأتي ويموت ويدفن فيه. ويوجد اعتراضات جمة على حقيقة دفن النبي في جامعها أما البستان

الملاصق للجامع فاسمه الروضة وللحجرة أربعة أبواب كلها موصودة إلا واحداً يدخل منه الموكلون بحفظ المحل وبتنظيفه وبتنويره وحمل النذور والهدايا التي تلقى فيه وجاء في تاريخهم أن كثيرين من ملوك المسلمين وأمراءهم وعظمائهم رغبوا أن يدفنوا في الحجرة في المكان الخالي ولكنهم لم ينالوا مشتهاهم تنفيذاً لوصية بوجوب حفظها لعيسى عند مجيئه الثاني. ولما أخذ الوهابيون المدينة سنة ١٨٠٤ سلبوا كل الزينات والتحف الموضوعة على القبور وأعلنوا أن كل الصلوات والنذور التي تجري حوله ما هي إلا عبادة وثنية أصنامية ولكن قد عادت بعض الرسوم والصلوات والنذور كما كانت لا سيما في فصلي الحج (انتهى كلام برتون الرحالة)

وجاء في كتاب الدابستاني للإمام محسن فاني سنة ١٦٤٧م عن محاكمة ربنا أمام مجلس السنهديم وبيلاطس وهي تشابه قصة الإنجيل تقريباً قال لما وقف عيسى امام رأس الكهنة قال له أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت ابن الله فأجابه السيد عيسى المبارك القدوس وقال « إني كما قلت والحق أقول

لكم إنكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين الله وآتياً على سحاب السماء « فقالوا إنك الآن تجدف لأنه حسب اعتقاد اليهود لا ينزل الله أبداً على سحاب السماء وقد تنبأ اشعيا عن ميلاد عيسى بكلمات واضحة حيث قال « ويخرج قضيب من جزع يسي وينبت غصن من أصوله ويحل عليه روح الرب ها العذراء تحبل وتلد ابناً « ويسى هو جد داود. ولما قبض اليهود على عيسى بصقوا على وجهه المبارك ولطموه وهذا تنبأ عنه اشعيا بقوله « بذلت ظهري للضاربين وخدي للتائفين وجهي لم أستر عن العار والبصق « ثم إن بيلاطس حاكم اليهود جلد السيد عيسى حتى إن كل جسمه من رأسه إلى قدميه صار جرحاً واحداً كما تنبأ اشعيا وقال « مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا إنه ضرب من أجل ذنب شعبي « ولما رأى بيلاطس اصرار اليهود على طلب صلب عيسى وقتله قال « إني بريء من دم هذا الرجل واغسل يدي من دمه فأجاب اليهود دمه علينا وعلى أولادنا « ولذلك ترى اليهود إلى اليوم مظلومين ومضطهدين نظراً لآثامهم. ثم إنهم وضعوا الصليب على كتف عيسى وساقوه

ليصلب فمسحت امرأة وجهه الملطخ بالدم بطرف ثوبها فانطبعت عليه صورته ثلاث مرات واليوم توجد واحدة منها في أسبانيا وأخرى في مدينة ميلان بإيطاليا والثالثة في مدينة رومية «

هذا وإنه توجد أحاديث متأخرة مثل هذه مأخوذة عن الإنجيل أو تقاليد بعض المسيحيين ولكنها ليست شائعة عند الجميع ولا مقبولة بالإجماع ولذلك لا يصح الوثوق منها والاستشهاد بها وعلى كل حال فإن هذه التقاليد المسيحية التي تقابل الأحاديث الإسلامية لا يعتبرها المسيحيون مصدر ثقة مثل الكتاب المقدس ومن الأسف أن محدثي الإسلامية لم يجعلوا عمدتهم في النقل التاريخ الصحيح ولا قول الإنجيل الصريح بل اعتمدوا على تقاليد بعض المسيحيين وهي ضعيفة السند كما هو مسلم به عند جمهور منتوري المسيحية فجاء مصدر نقلهم ضعيفاً ومشكوكاً فيه



الفصل الخامس

خلاصة ما تقدم

« ذات وصفات يسوع المسيح »

قد رأيت ولا شك في الفصول السابقة أن للمسيح مقاماً عظيماً بين الأنبياء كما جاء في الكتب الإسلامية جمعاء فالقرآن يشير إشارات مهمة وجلية إلى عظمة المسيح وتفوقه على سائر الأنبياء ولكنه يقصر كثيراً عن إزاحة الستار عن كماله المجيد وجلاله البهي الإلهي وكأني بالقرآن يأتي بالباحث عن حقيقة المسيح الساحة الخارجية ولكنه تقصر يده عن فتح الباب. إن كل مسلم باحث عن الحقيقة وهو خالي الغرض لا يفرغ من قراءة ما جاء عن المسيح عيسى في القرآن والحديث إلا ويشعر باضطراب نار الدهشة والحيرة في نفسه وتعطش أفكاره للإرتواء بحقائق سامية ولكنه من الأسف لا يجد فيهما ما يطفى تلك النار ولا ما يروي ذلك الغليل كما وإنه لا يمكن لأي مسلم مهما كان أن يتخلص من أن يخطر بباله شيء عن يسوع المسيح وأن

يؤدي شهادة لشخصه وصفاته بعد ما يرى الأقوال الكثيرة الواردة عنه في القرآن والحديث (كما جاء بالفصول الماضية) بكيفية تمتاز عن سائر الأنبياء والمرسلين

وقد قصدنا في هذا الفصل أن نبين للقراء الكرام ما يمكن أن يخطر ببال المسلم بعد مطالعته ما قلناه عن ذات يسوع المسيح وصفاته فنلخص هنا للقارئ الفكر الذي ينشأ عن مطالعة الفصول السابقة والتأثير الذي يحدث منها في عقل المسلم وقلبه بخصوص يسوع المسيح. ففي الفصول السابقة بحثنا في الأمر من وجهة تاريخية أما في هذا الفصل فنقصد أن نجعل البحث من وجهة عقائدية تعليمية على أننا نرى أمامنا صعوبة في الوصول إلى غرضنا هذا لأننا لا نقدر أن نستعمل الاصطلاحات المسيحية لعلمنا أن المسلم يرفض كل الرغض الاعترارات الناشئة عنها تلك الاصطلاحات وينقضها بما وسعت قوة النقض. فعلم اللاهوت المسيحي (أو علم الكلام حسب التعبير الإسلامي) مركزه الأسمى ومحوره الثابت وغايته القصوى العقيدة المختصة بأفئومية يسوع المسيح. والكنيسة من بدء ظهورها إلى اليوم

أجمعت كلمتها في كل الأزمنة والأمكنة أن يسوع المسيح إله تام وإنسان تام ونسبت إلى شخصه حسب تعليم الكتب المقدسة الثلاث وظائف الرئيسية أي أنه نبي وكاهن وملك وأن وجود يسوع المسيح الأزلي بصفته ابن الله وتواضعه العجيب وتنازله حتى صار ابن الإنسان ثم ارتفاعه إلى المجد كل هذه موضوع أساس علم اللاهوت المسيحي وأساس تعزية جميع المؤمنين به. على أنه لا ينكر أن هذه العقائد عن شخص المسيح وصفاته لا يقبلها عقل المسلم بل بالحري ينكرها كل الإنكار ولذلك وجب أن نبحث المسألة من وجهة إسلامية بحتة وعن وجه سلبي أيضاً فنقول

أولاً إن الفكر الإسلامي عن المسيح هو مثل الفكر الإسلامي عن الله كما ذكرنا في مؤلف آخر بما أنه لا يقوم بما قيل عنه إيجابياً فقط بل بالأكثر الأوضح بما ينكر عليه سلبياً وهاك قولهم « كل ما خطر في بالك فربنا مخالف ذلك » وقد صدق فريمان كلارك أحد الفلاسفة في قوله « إذا كنت تبحث عن الخطأ في نظرية ما من نظريات الفلاسفة فلا تجده غالباً في

إيجابياتها الثبوتية بل في سلبياتها أي حدودها السلبية لأن الإيجابي المثبت عندهم هو حقيقي لا شك فيه لكن إنكار وجود صفات لا يلزم أن يعتبر دليلاً على عدم وجود تلك الصفات بل هو دليل على عدم اتساع نظر القوم (هـ)^(١)

إن القرآن ينكر لاهوت المسيح يسوع وبنويته الأزلية ويقول عنه إنه مثله كمثل آدم. كما جاء في سورة آل عمران: ٦٠ قوله « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » وإن أولئك الذين يعتقدون أن عيسى أكثر من إنسان بشري هم كفار أفاكون كما جاء في (سورة التوبة: ٣١) « وقالت النصارى المسيح ابن الله قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون » بل لم يكتفِ القرآن بتأكيده أن يسوع المسيح مجرد إنسان مخلوق كسائر المخلوقات بل تمادى إلى القول إن عيسى ليس لازماً لله ولا لتدبير الله في عالمه فقال

(١) (ملاحظة) إن السبب في موافقة علماء الكلام الإسلامي على أغلبية السلبيات على الإيجابيات هو كونهم يبنون أكثر علم الكلام على قواعد المنطق والفلسفة

في سورة المائدة: ١٩ قوله « قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً » وإن أول شيء يخطر ببال المسلم عن يسوع هو أنه كان إنساناً مثل سائر الناس جاء « في سورة الزخرف: ٥٩ و ٦٠ » قوله عن ابن مريم « إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون » ولذلك لا تجد أمراً يثير غضب المسلم واشمئزازه من الديانة المسيحية مثل القول إن يسوع المسيح هو ابن الله هذا وإن كنا سبقنا وبحثنا مسألة عدم فهم المسلم قضية الثالوث في كتابنا المسمى « التوحيد في الإسلام » (ترجم في مجلة المرشد سابقاً) ولكننا لا نرى مندوحة الآن من إيراد بعض الآيات القرآنية الدالة على أن إنكار المسلم قضية الثالوث نظراً للتعاليم القرآنية الواردة عن شخص يسوع المسيح مثل قوله في (سورة مريم: ٨٩ — ٩٣) « وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إداً تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هذا إن دعوا للرحمن ولداً. وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً وفي (سورة الاسراء:

« ١١١ » « وقال الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبيره تكبيراً »

على أنهم لو رجعوا إلى التوراة والزيور والإنجيل لوجدوا أن التوحيد ركن مهم من أركان دين الله الحق المعلن في كتبه المقدسة التي أنزلها من قبل على النبيين فجاء في (سفر التثنية ٦: ٤) « اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد » (وفي تثنية ٤: ٣٥ و ٣٦) « إن الرب هو الإله ليس آخر سواه إن الرب هو الإله في السماء من فوق وعلى الأرض من أسفل ليس سواه » أما ما جاء في أشعيا فقولته «أنا الرب هذا اسمي مجدي لا أعطيه لآخر حمدي لا أسمح به للمنحوتات» أنا الأول والآخر أنا الله وليس سواي أنا الله ليس مثلي الله صنع السموات الله أبدع الأرض أنا الله ليس سواي يقول الرب. الرب هو الإله الحقيقي هو الإله الحي والملك الأبدي وجاء في الإنجيل قوله « ليس وثن في العالم وإن ليس إله آخر إلا واحداً » (كورنثوس ص ٨: ٤)

ومن الموافق هنا أن نأتي القارئ الكريم بخطبة نشرتها

المطبعة الانكليزية الأميركية لإفادة المسلم لكي يفهم معتقدات إخوانه المسيحيين بالتمام

الله واحد

« يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ » (سورة آل عمران آية ٦٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ الَّذِي لَا بَدَايَةَ لَوْجُودِهِ. الْآخِرِ الَّذِي لَا نِهَايَةَ لِنِعْمَتِهِ وَجُودِهِ. فَسُبْحَانَهُ مِنْ إِلَهٍ تَفَرَّدَ فِي أُلُوهِيَّتِهِ. وَتَبَارَكَ مِنْ رَبِّ تَوْحَدَ فِي رُبُوبِيَّتِهِ. جَلَّ عَنِ الشَّرِيكِ وَالْأَنْظَارِ. وَعَزَّ عَنِ أَنْ تُحِيطَ بِهِ الْبَصَائِرُ وَالْأَبْصَارُ. هُوَ « اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ. لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ » عَجَزَتْ عُقُولُ خَلْقِهِ عَنِ إِدْرَاكِ مَا هِيَئَتِهِ. وَكَلَّتِ الْأَفْهَامُ عَنْ مَعْرِفَةِ حَقِيقَتِهِ. تَعَالَى عَنِ التَّعَدُّدِ وَالتَّغْيِيرِ وَالتَّجْزِئِ وَالنَّقْسِيمِ. وَلَا يَعْلَمُ مَا هُوَ إِلَّا هُوَ « وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ »

﴿ أَمَّا بَعْدُ فَيَا عِبَادَ اللَّهِ ﴾ إِنَّ مِنْ أَحْسَنِ مَا جَاءَ بِهِ الْإِسْلَامُ وَأَفْضَلِ مَا دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ الْكَرَامَ. هُوَ تَوْحِيدُ اللَّهِ فِي الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ. وَتَقْدِيسُهُ عَنِ مَرُورِ الْأَزْمَنَةِ وَإِحَاطَةِ الْأَمْكِنَةِ وَالْجِهَاتِ. فَلَا يُقَالُ مَا هُوَ وَلَا كَيْفَ وَلَا أَيْنَ وَلَا مَتَى هُوَ كَانَ. وَقَدْ أَعْلَنْتُ لَنَا وَحَدَانِيَّتُهُ التَّوْرَةَ وَالزَّبُورَ وَالْإِنْجِيلَ كَالْقُرْآنِ

فَفِي التَّوْرَةِ « اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ » (سفر التثنية إصحاح ٦ :) وفيه أيضاً (إصحاح ٤ : ٣٥ و ٣٩) « إِنَّ الرَّبَّ هُوَ إِلَهُ لَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ. إِنَّ الرَّبَّ هُوَ إِلَهُ فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقَ وَعَلَى الْأَرْضِ مِنْ أَسْفَلَ لَيْسَ سِوَاهُ » إِلَى أَعْدَادٍ كَثِيرَةٍ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ مَنْصُوصَةٍ فِي أَسْفَارِ التَّوْرَةِ الْمَقْدَّسَةِ

وَفِي الزَّبُورِ « أَنَا الرَّبُّ. هَذَا اسْمِي. مَجْدِي لَا أُعْطِيهِ لِآخَرَ حَمْدِي لَا أَسْمَحُ بِهِ لِلْمَنْحُوتَاتِ. أَنَا الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ. أَنَا اللَّهُ وَلَيْسَ سِوَايَ. أَنَا اللَّهُ لَيْسَ مِثْلِي. الرَّبُّ هُوَ إِلَهُ الْحَقِيقِيِّ. هُوَ إِلَهُ الْحَيِّ وَالْمَلِكِ الْأَبَدِيِّ » إِلَى جُمْلٍ عَدِيدَةٍ فِي عِدَّةِ مَزَامِيرٍ مِنَ الزَّبُورِ تُصَرِّحُ بِتَوْحِيدِهِ تَعَالَى وَأَمَّا مَا جَاءَ فِي الْإِنْجِيلِ فَهُوَ كَثِيرٌ نَكْتَفِي بِقَلِيلٍ مِنْهُ فِي

(اصحاح ٨ : ٦) مِنَ الرِّسَالَةِ الْأُولَى إِلَى أَهْلِ كُورِنْثُوسَ « لَكِنْ لَنَا إِلَهٌ وَاحِدٌ » (وفي اصحاح ٨ أيضا عدد ٤) مِنَ الرِّسَالَةِ « لَيْسَ وَتَنْ فِي الْعَالَمِ وَأَنْ لَيْسَ إِلَهٌ آخَرُ إِلَّا وَاحِدًا »

وَلَوْ سَرَدْنَا كُلَّ آيَاتِ الْوَارِدَةِ فِي هَذَا الْمَقَامِ. لَطَالَ الْمَجَالُ وَكَثُرَ الْكَلَامُ. وَإِنَّ مَقْصُودَنَا مِمَّا أَقْبَيْنَاهُ مِنَ الشَّوَاهِدِ الْمُقَدَّسَةِ الْعَلِيَّةِ. هُوَ إِزَالَةُ التَّهْمِ النَّاشِئَةِ مِنْ تَبَاعُدِ الْمُسْلِمِينَ عَنِ مَطَالَعَةِ الْكُتُبِ الْمَسِيحِيَّةِ

أَيُّهَا الْمُوحِّدُونَ. يُزَعَمُ أَنَّ الْمَسِيحِيِّينَ يَقُولُونَ بِتَعَدُّدِ الْأَلِهَةِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ. وَيُنَوِّهَهُمْ أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ الشِّرْكَ. إِنَّا لِلَّهِ. لَعَمْرِي إِنَّهُمْ مُبْرَتُونَ مِنْ هَذِهِ التَّهْمَةِ الذَّمِيمَةِ وَمُطَهَّرُونَ مِنْ تِلْكَ الْوَصْمَةِ الْوَخِيمَةِ وَهَذَا كِتَابُهُمْ يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ. وَإِيمَانُهُمْ يَشْهَدُ لَهُمْ بِالصِّدْقِ

أَمَّا مَا سَمِعْتُمُوهُ مِنَ الْآيَاتِ فَهُوَ مِنَ الْكِتَابِ. الَّذِي يَعْتَقِدُونَ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ رَبِّ الْأَرْيَابِ

وَلَوْ سَأَلْنَا أَبْسَطَ مَسِيحِيٍّ مَا هُوَ اللَّهُ. لِأَجَابَ فَوْرًا « إِنَّ اللَّهَ رُوحٌ غَيْرُ مَحْدُودٍ. سَرْمَدِيٌّ غَيْرُ مُتَغَيِّرٍ فِي وُجُودِهِ وَحِكْمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَقِدَاسَتِهِ وَعَدْلِهِ وَحُبِّهِ وَحَقِّهِ » وَأَنَّهُ لَا يَتَجَرَّأُ وَلَا يَنْقَسِمُ وَلَا

يَتَعَدَّدُ وَلَا تُحِيطُ بِهِ الْأَكْوَانُ. وَيَعْجَزُ عَنْ إدْرَاكِ كُنْهِ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ كُلُّ مَخْلُوقٍ وَإِنْسَانٍ. وَيَسْتَشْهَدُ الْمَسِيحِيُّ لِكُلِّ قَضِيَّةٍ مِنْ هَذِهِ الْعَقِيدَةِ الْإِيمَانِيَّةِ. بآيَةٍ مِنَ الْآيَاتِ الْمُقَدَّسَةِ

يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ. إِنَّا قُلْنَا وَلَمْ نَزَلْ نَقُولُ إِنَّ نِسْبَةَ تَعَدُّدِ الْإِلَهَةِ لِلْمَسِيحِيِّينَ. مُسَبَّبٌ عَنْ عَدَمِ مُطَالَعَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ النَّهْمِينَ فَإِنْ قِيلَ إِنَّ الْمَسِيحِيِّينَ يَعْتَقِدُونَ بِالتَّثْلِيثِ وَهُوَ ضِدُّ التَّوْحِيدِ. فَكَيْفَ يُوَحِّدُونَ وَهُمْ يَتْلَثُّونَ وَبَيْنَهُمَا بَوْنٌ بَعِيدٌ

أَقُولُ نَعَمْ إِنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ طَبَقَ مَا صَرَخَ لَهُمُ اللهُ فِي إِعْلَانَاتِهِ وَوَضَّحَهُ الْمَسِيحُ تَمَاماً فِي بَشَارَاتِهِ. بَأَنَّ ذَاتَ اللهِ الْوَاحِدَةَ الَّتِي لَا تَتَعَدَّدُ وَلَا تَتَجَزَّءُ وَلَا تَتَكَاثَرُ قَائِمَةٌ مِنَ الْأَزَلِ فِي ثَلَاثَةِ أَقَانِيمٍ (اللهُ وَكَلِمَتُهُ وَرُوحُهُ) فَيَعْبَرُ عَنْ اللهِ بِالْأَبِ وَعَنِ الْكَلِمَةِ بِالْإِبْنِ وَعَنِ الرُّوحِ بِالرُّوحِ الْقُدُّوسِ. وَهَذِهِ الذَّاتُ الْوَاحِدَةُ الْقَائِمَةُ فِي الثَّلَاثَةِ أَقَانِيمٍ هِيَ جَوْهَرٌ وَاحِدٌ (أَي ذَاتٌ وَاحِدَةٌ) لَا يَقْبَلُ التَّعَدُّدَ وَلَا الْإِنْقِسَامَ وَلَا التَّفْرِيقَ بَلْ بِذَاتٍ وَاحِدَةٍ وَقُدْرَةٍ وَمَجْدٍ وَاحِدٍ

وَيَسْتَدَلُّ بِالْفُصُولِ الْآتِيَةِ ذِكْرُهَا أَنَّ التَّعَدُّدَ لَا يَقْدُخُ فِي وَحْدَةِ الذَّاتِ
قَالَ فِي الْيُوقَيْتِ لِلشَّعْرَانِيِّ نَاقِلاً عَنْ عَلِيٍّ وَقَا الشَّاذَلِيِّ الشَّهِيرِ

مَا مُلْخَصُهُ. (التَّعَدُّدُ الْإِعْتِبَارِيُّ لَا يَقْدَحُ فِي الْوَحْدَةِ الْحَقِيقِيَّةِ كَفُرُوعِ الشَّجَرَةِ بِالنَّظَرِ لِأَصْلِهَا أَوْ الْأَصَابِعِ بِالنَّظَرِ إِلَى الْكَفِّ) (اه صفحة ٨١)

وَفِي الْمَوَاقِفِ (صفحة ٣/٥) مَا مُلْخَصُهُ (حَيْثُ صِفَاتُهُ تَعَالَى حَقِيقِيَّةً لَمْ يَكُنْ هُوَ بَسِيطًا حَقِيقِيًّا وَاحِدًا مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ)

وَفِي الْمَوَاقِفِ أَيْضًا (صحيفة ٣٤٢) مَا مَعْنَاهُ (أَنَّهُ يَجُوزُ اجْتِمَاعُ الْوَحْدَةِ وَالتَّعَدُّدِ فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ ثُمَّ أَوْضَحَ أَنَّ الْوَحْدَةَ لَيْسَتْ ضِدًّا لِلتَّعَدُّدِ) وَنَحْنُ لَا نَقُولُ بِأَنَّ الْأَقَانِيمَ صِفَاتٌ أَوْ أَنَّ الصِّفَاتِ الْأَقَانِيمَ وَلَكِنَّا نَقُولُ حَيْثُ ثَبَتَ أَنَّ الْوَحْدَةَ وَالتَّعَدُّدَ لَيْسَا ضِدَّيْنِ بَلْ يَجْتَمِعَانِ بِالصِّفَاتِ وَالذَّاتِ فَاجْتِمَاعُهُمَا فِي وَحْدَةِ الذَّاتِ مَعَ تَعَدُّدِ الْأَقَانِيمِ أَقْرَبُ وَأَصْدَقُ وَمَنْ يُسَلِّمُ بِتِلْكَ يَجِبُ أَنْ يُسَلِّمَ بِهَذِهِ قَطْعًا. فَتَأَمَّلُوا أَيُّهَا الْإِخْوَانُ وَبَعْدَ تَسْلِيمِكُمْ عَقْلِيًّا بِإِمْكَانِيَّةِ تَعَدُّدِ الْأَقَانِيمِ فِي ذَاتٍ وَاحِدَةٍ أَقْبَلُوا عَلَى مُطَالَعَةِ الْإِنْجِيلِ الْمُنِيرِ فِي قَلْبِ طَالِبِ الْحَقِّ لَعَلَّ اللَّهَ يُعْلِنُ لَكُمْ صِحَّةَ ذَلِكَ فِعْلًا بِنُورٍ مِنْ عِنْدِهِ. وَإِنْ قِيلَ إِنَّ تَثْلِيثَ الْأَقَانِيمِ لِذَاتٍ وَاحِدَةٍ لَا يُدْرِكُهُ الْعَقْلُ فَكَيْفَ نُوْمِنُ بِهِ

فَنَجِيبُ بِأَنَّهُ لَا يَخْفَى أَنَّ عُقُولَ الْبَشَرِ مَحْدُودَةٌ وَهِيَ عَاجِزَةٌ

عَنْ إِدْرَاكِ حَقِيقَةِ الْمَادِّيَّاتِ. وَمَحْجُوبَةً عَنْ مَعْرِفَةِ جَوَاهِرِ الرُّوحَانِيَّاتِ. فَهِيَ لَا تُدْرِكُ مِنَ الْمَادِّيَّاتِ
الْمَحْسُوسَةِ إِلَّا صِفَاتِهَا وَخَوَاصَّهَا. وَتَجْهَلُ حَقِيقَةَ جَوَاهِرِهَا وَذَوَاتِهَا قَطْعًا

وَمِثَالُ ذَلِكَ إِنَّمَا نَعْلَمُ يَقِينًا بِأَنَّ الْكَهْرَبَا مَوْجُودَةٌ وَمَحْدُودَةٌ بِالْجِهَاتِ السَّتِّ وَنُشَاهِدُ مَا يَنْبَعِثُ
عَنْهَا مِنَ الْقُوَّاتِ الْمُدْهَشَةِ وَالْأَعْمَالِ الْكَبِيرَةِ كَجَرِّ الْأَنْقَالِ الْعَظِيمَةِ. وَسُطُوعِ الْأَنْوَارِ الْفَخِيمَةِ. مَعَ
أَنَّهَا لِلآنِ وَأُظُنُّ إِلَى الْأَبَدِ أَيْضًا لَمْ تَصِلْ وَلَنْ تَصِلْ عُقُولُ عُلَمَائِهَا إِلَى مَعْرِفَةِ جَوَاهِرِهَا وَحَقِيقَتِهَا.
جُلُّ مَا هُنَالِكَ يَعْلَمُونَ صِفَاتِهَا وَخَوَاصَّهَا فَقَطْ

أَيُّهَا الْمُوقِنُونَ. كَيْفَ يَعْرِفُ الْخَالِقُ غَيْرَ الْمَحْدُودِ مَخْلُوقٍ مَحْدُودٌ وَهُوَ جَاهِلٌ ذَاتَ نَفْسِهِ
وَكَيْفِيَّةَ وَجُودِهَا وَسِرِّ حَيَاتِهَا فِي جِسْمِهِ الْمُتَحَرِّكِ وَالسَّاكِنِ بِإِرَادَتِهَا. وَلَا يَعْلَمُ الْقُوَّةَ الَّتِي يَضْرِبُ بِهَا
الْقَلْبُ وَيَدُورُ الدَّمُ بِحَرَكَاتِ بِلَا إِرَادَتِنَا وَتَجْهَلُ أَكْثَرَ الْوِطَائِفِ الْعُضْوِيَّةِ الْحَيَوَانِيَّةِ وَنِظَامَاتِهَا مِنْ
حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ فَإِذَا لَمْ تَصِلْ عُقُولُنَا إِلَى تَصَوُّرِ كُنْهِ حَيَاتِنَا فَلَا نَقْدِرُ أَنْ نُدْرِكَ حَقَائِقَ الرُّوحَانِيَّاتِ
قَطْعًا. وَحَيْثُ تَبَّتْ عَجْرُنَا عَنْ تَصَوُّرِ حَقَائِقِ الْمَادِّيَّاتِ الْمَشْهُودَةِ لَنَا وَالرُّوحَانِيَّاتِ الْقَائِمَةِ فِيْنَا فَلَا
شَكَّ أَنَّ

عَنْ مَعْرِفَةِ ذَاتِ الْخَالِقِ تَعَالَى أَعْجَزُ. وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَهُ الْخَلِيفَةُ الْأَوَّلُ أَبُو بَكْرٍ

الْعَجْزُ عَنْ دَرَكِ الْأَدْرَاكِ إِدْرَاكُ

وَالْبَحْثُ فِي عَيْنِ ذَاتِ اللَّهِ إِشْرَاكُ

[تَتَبِيهٌ مُهِمٌّ. إِيَّاكُمْ أَنْ تَفْهَمُوا مِنْ لَفْظَتِي (أَبٍ وَأَبْنٍ) مَعْنَى الْوِلَادَةِ التَّنَاسُلِيَّةِ الْكَثِيفَةِ الَّتِي تُوجِبُ تَقَدُّمَ الْأَبِ عَلَى الْإِبْنِ فِي الْوُجُودِ وَزَرْعَ زَارِعٍ لَعَمْرُؤُا الْحَقُّ لَا يَقُولُ بِهَذَا مَسِيحِي قَطُّ فِي رَبِّهِ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ (الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً (زَوْجَةً) وَلَا وُلْدًا) يَتَوْلَدُ بِالتَّنَاسُلِ الْحَيَوَانِيِّ الْكَثِيفِ (تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا) لَكِنَّ الْإِبْنَ الَّذِي هُوَ الْكَلِمَةُ الْأَزَلِيَّةُ تَجَسَّدَ إِنْسَانًا كَامِلًا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ فِي بَطْنِ مَرْيَمَ بِلَا انْفِصَالٍ عَنْ لَاهُوتِ الْأَذَاتِ الْأَحَدِيَّةِ قَالَ فِي الْإِنْجِيلِ « فِي الْبَدَءِ كَانَ الْكَلِمَةُ وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ. وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهُ » وَفِي سُورَةِ النِّسَاءِ (آيَةٌ ١٦٨) « إِنَّمَا الْمَسِيحُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ » فَالْمَسِيحُ مِنْ حَيْثُ هُوَ ابْنُ مَرْيَمَ جَسَدٌ مُحَدَّثٌ زَمَنِيٌّ. وَمِنْ حَيْثُ كَلِمَةُ اللَّهِ قَدِيمٌ أَزَلِيٌّ. فَعَلَّ الْمُعْجَزَاتِ بِالطَّبِيعَةِ

الإلهية. وأظهر العجز بالطبيعة البشرية. وكلُّ هذا ممَّا يسعُهُ الإيمانُ الذي أوجبه اللهُ علينا [
وَالْخُلَاصَةُ إِنَّ الطَّائِفَتَيْنِ مُتَّفَقَتَانِ بِحَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَكَمَالِ صِفَاتِهِ الَّتِي لَا
تَصِلُ إِلَى مَعْرِفَةِ حَقِيقَتِهَا الْعُقُولُ الْبَشَرِيَّةَ. وَلَيْسَ بَيْنَهُمَا إِلَّا سُوءُ الْفَهْمِ بِخُصُوصِ التَّعَدُّدِ فِي ذَاتِ
وَاحِدَةٍ. جَعَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْعِجَالَ سَبَبًا لِإِزَالَةِ الْوَهْمِ. حَتَّى نَعْرِفَ الْحَقَّ فَتَتَّبِعُهُ. وَنَرَى الْبَاطِلَ فَتَتَّجِنِبُهُ.
أمين

ومهما قال القرآن والحديث كما رأينا وسنرى أيضاً عن يسوع المسيح وسموه وعصمته
من الخطأ وقوته على عمل المعجزات فإن المسلمين لا يفرقون بينه وبين سائر الأنبياء بالنظر إلى
طبيعته بل بينما نجدهم ينكرون حتماً وجوده الأزلي فإن الأحاديث مشحونة بالأخبار عن وجود
نور محمد قبل تكوين العالمين (انظر كتاب إنسان العيون لبرهان الدين الحلبي) وإلا فيعتبر أمراً
مدهشاً يحار فيه العقل أن ينسب الإسلام إلى محمد ما لم ينسبه هو لنفسه من حيث الأزلية ثم
ينكرها على يسوع المسيح المثبتة له ببراهين لا ترد

وإنك إذا قرأت مؤلفات مسلمي مصر والهند وكل العالم الإسلامي لا تجد غرضاً يوجهون إليه نبال انتقاداتهم وسهام اعتراضاتهم إلا قضية لاهوت المسيح وعمله الكفاري لأجل البشر ف فيما يعتقد المسيحي أن يسوع المسيح إله وإنسان معاً وهو نبي وكاهن وملك يقول المسلم إنه إنسان فقط ويعترف له بالنبوة لا غير أما الكهنوت والملكوت فأمران غير مفهومين ولا مقبولين لأن الإسلام ديانة بدون كهنوت وبدون فكر صريح عن الكفارة ولذلك غاب عن فكر المسلم هذا الفكر الأساسي في عمل المسيح

وقد أشار الدكتور سايوس إلى عدم وجود هذا الفكر عند محمد نفسه بقوله « وخلاصة القول إن محمداً لم يشعر بخطية ما ولذلك لم يشعر بحاجته إلى طريق الفداء وبالتالي فجميع أتباعه في كل القرون يعارضون هذا الفكر وهذا هو السبب أن الدين المسيحي اكتسب من الإسلام أقل من غيرهم في العالم أجمع فاعتقاد المسيحيين بالخطية هو حاجز منيع بين المسيحية والمسلم المفكر في اعتناقها « انتهى قول الأستاذ سايوس

ومهما يكن مما ذكر فإن أحد العاملين بين المسلمين وهو منتصر أيضاً يقول إن السبب الأكبر لقلّة النجاح بين المسلمين هو اعتقادهم أن رحمة الله بالخاطئ أي عفوّه عنه بغير فداء لا ينافي عدله فلذا لا يرون لزوماً للفادي (هـ)

ولذلك فنحن لا نستغرب إن كان الصليب اليوم حجر عثرة للمسلم كما كان قديماً لمحمد نبيه ولا عجب إذا كانت كل تأليفهم الجدلية العصرية ومقالاتهم محشوة بإنكار حقوق المسيح وامتيازاته المنسوبة له في الإنجيل الطاهر حتى أن بعضاً منهم ممن أغمضوا عيونهم عما جاء في القرآن والحديث من تعظيم عيسى وأمه والذين اتبعوه وأكبر برهان على ذلك بعض كتيبات مشهورة لا لزوم لذكر أسمائها

ولم يقصر إنكارهم حقيقة لاهوت المسيح على حق من الإنكار بل ذهب فيه بعضهم كل مذهب وضربوا في كل سبيل فقال أحد كبار كتابهم وأقدرهم السيد أمير علي من كلكتا « إن لاهوت المسيح خرافة نمت مع تقدم الأيام ولو فرضنا أن عيسى انتفع بما نسبوه إليه من الألقاب والصفات فهل يستطيع

المسيحيون أن يبرهنوا أنه ادعى أنه ابن الله الوحيد؟ فإنه مع كل مطامحه وأحلامه وآماله كان عقله خالياً بالكلية من هذه الافتراءات التي نسبها إليه أتباعه المضطربون غيرة وإنما ننكر كل الإنكار أن عيسى ادعى مرة أنه ابن الله بالمعنى الذي ينسبه إليه علماء المسيحية وحماتها « (!!) انتهى قوله العجيب

وهنا نرى صورة طبق الأصل من البراهين التي يقابل بها المسلمون المسيحيين إذ يفاخرونهم قائلين إننا نكرم سيدنا المسيح ونحبه أكثر من المسيحيين أنفسهم. ألا تراه من العجيب المدهش أن المسلمين بعدما يفضون أمجاد المسيح ويبخسون مقامه وكل أعماله الواردة في الإنجيل يرجعون ويدعون أنهم يكرمونه ويحبونه أكثر من المسيحيين قال أحد المبشرين إنه بينما كنت أتكلم مع جماعة من المسلمين عن مقام المسيح وتفوقه عن غيره كما ورد عنه في القرآن والحديث قاطعني شيخ بروح المراوغة والحيلة والنزاع قائلاً إنه يحب المسيح أكثر مني لأنه لا يود أن أن يصدق أنه صلب ومات ودفن كما يؤمن المسيحيون

(ثانياً) وكما رأينا الفكر الإسلامي عن ذات وصفات مخلصنا سلبياً نتقدم إلى بيان ما يعترف به المسلم من شرف شخص المسيح ونقاوة صفاته إيجابياً. لا جدال إن المسلم الذي يقرأ القرآن ببصيرة خالية من الغرض بغض النظر عن أقوال المفسرين لا يجد مفراً من الاقرار أن المسيح أسمى من محمد ومن الأمور المشجعة أن كثيرين من أتقياء المسلمين ومخلصيهم قد انفتوا إلى هذه الحقيقة الواضحة وضوح الشمس في رابعة النهار فأدت بهم إلى مطالعة الإنجيل حيث يستطيعون أن يستقوا الماء العذب من مورده الصافي

قال القس بومفورد في بشاور بالهند إن رجلاً من مكة كتب لجمعية التوراة في لاهور يطلب كتاب العهد الجديد ليتعلم منه أكثر عن المسيح المذكور في القرآن وذكر المرحوم الدكتور بنل من بانو على حدود الأفغانستان عدة حوادث من هذا القبيل أيضاً ولذلك كانت أفضل طريقة لتبشير المسلم بالمسيح هو أن نبدأ معه بما جاء عن المسيح في القرآن^(١)

(١) اطلب كتاب « المسيح في الإسلام » من مطبعتنا

(١) إن المسلمين يقرون بمقام المسيح كنبى ورسول ويعطونه أسماءً وألقاباً لم تعط لأى نبي أو رسول آخر سواه كما رأينا في الفصل الأول وكل مسلم مخلص يسلم بدون جدال بقوة هذا البرهان لأن مقام المسيح وصفاته في القرآن والحديث مما تفرد بهما ولو أنه معتبر فيهما إنساناً مثل سائر الناس. ومع كل ذلك فعامة المسلمين لا يرون قوة هذا البرهان حتى تستدعي إليه التفاتهم لأنه مع نسبة هذه الألقاب والصفات الممتازة ليسوع يجدون أنه مذكور في صف الأنبياء والرسل وكواحد منهم بدون تمييز أو تخصيص مقام أسمى له ولذلك لا يستطيعون رؤيته كما يستحق إلا لما توجه التفاتهم إلى ذات أقوال كتبهم ونطلب منهم التمعن فيها بروح خالية من الغرض ذلك لأنهم يقتبسون أقوال قول القرآن في (سورة البقرة ١٣٥ و ٢٨٦) « لا نفرق بين أحد منهم » (أي الأنبياء والرسل) (وآل عمران: ٨٤) « قل آمننا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون

من ربهم لا نفرق بين أحد منهم » وقد جاء ذكر الأنبياء بأكثر تطويل وعيسى كواحد منهم بدون أدنى تمييز في (سورة الأنعام: ٨٥ و ٨٧) وهم ابراهيم واسحق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون ويحيى وعيسى والياس وإسماعيل واليشع ويونس ولوط. وبما أن القرآن لا يلاحظ عادة الترتيب التاريخي في سرد حوادثه وتراجم الرجال المذكورين فيه فيعسر على المسلم أن يستنتج من ألفاظ كتابه وقت ظهور عيسى بأنه آخر الأنبياء في تاريخ اليهود والنصارى وأعظمهم

(٢) إن المسلمين يقرون بعصمة يسوع من الخطية ومع أن هذه العصمة حسب رأي علمائهم العصريين لا تجعل يسوع في صف ممتاز عن غيره لأن كل الأنبياء معصومون من الخطية كما يقولون ومع ذلك فالقرآن بينما نجده يسرد خطايا آدم وداود وسليمان والأنبياء الآخرين لا يترك أدنى شك في نفس القارئ بخصوص طهارة صفات الرب يسوع وخلوه من كل خطية ومع أنهم يعتبرون محمداً مثال الكمال والطهارة والنقاوة والبعد عن كل خطية فإن هذا النبي نفسه شهد بسمو يسوع بقوله « ما من

بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان غير مريم وابنها «
(متفق عليه) (مشكاة المصابيح الكتاب الأول باب الوسوسة) وهنا نجد إشارة واضحة للحبل بلا
دنس بمريم ويسوع على السواء

قال الكرمانى إنه لما كانت مريم واقفة تحت النخلة وتحيطها الملائكة جاء إبليس ليطغها
من فوق فظللته الملائكة فنزل ليطغها من أسفل فنزلت الملائكة تحت قدميها وصانتها فجاء ليدخل
بينهم وبينها فوقفت الملائكة مدافعة عنها فذهب الشيطان يقول لم يولد مولود واستطاع أحد أن
يحميه بشيء مثل هذا المولود. وقال الفخر الرازي « سُمِّي المسيح لأنه مبرأ من العيوب
والخطايا » وجاء حديث لابن أنس عن النبي تكلم محمد فيه عن خطايا جميع الأنبياء وعدم عصمة
نفسه ولكنه لم يستطع أن ينسب خطية ليسوع وهاك هو

عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجلس المؤمنون يوم القيامة حتى يهملوا بذلك
فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو الناس خلقك

الله بيده وأسكنك جنته واسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء أشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم ويذكر خطيته التي أصاب أكله من الشجرة وقد نهى عنها ولكن انتوا نوحاً أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض فيأتون نوحاً فيقول لست هناكم ويذكر خطيته التي أصاب سؤاله ربه بغير علم ولكن انتوا ابراهيم خليل الله الرحمن قال فيأتون ابراهيم فيقول إني لست هناكم ويذكر ثلاث كذبات كذبهن ولكن انتوا موسى عبداً أتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجياً قال فيأتون موسى فيقول إني لست هناكم ويذكر خطيته التي أصاب قتله النفس ولكن انتوا عيسى عبد الله ورسوله وروح الله وكلمته قال فيأتون عيسى فيقول لست هناكم ولكن انتوا محمداً عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال فيأتوني فاستأذن على ربي في داره فيؤذن لي^(١) «
(مشكاة المصابيح كتاب الفتن باب الحوض والشفاعة)

(١) على القارئ أن يفهم النقطة الرئيسية وهي عدم ذكر خطية للمسيح مع ذكرها لمحمد

وهاك حكاية أخرى غريبة عن تجربة إبليس للمسيح وانتصار المسيح عليه « كان طاوس اليمني أحد أتباع النبي الأول يقول ما من شيء يتكلم به ابن آدم إلا أحصي عليه حتى أنينه في مرضه وقال لقي عيسى ابن مريم عليه السلام إبليس فقال أما علمت أنه لا يصيبك إلا ما قُدر لك قال نعم قال إبليس فارق إلى ذروة هذا الجبل وترد منها فانظر أتعيش أم لا فقال له عيسى عليه السلام أما علمت أن الله قال لا يختبرني عبدي فإني أفعل ما شئت إن العبد لا يبتلى ربه ولكن الله يبتلى عبده قال طاوس فخصمه إبليس » (حياة الحيوان الكبرى للدميري جزء ٢ وجه ١٥٥)

(٣) اقرارهم ليسوع بضع المعجزات ولا سيما شفاء الأمراض ويعتقد عموم المسلمين أن فن الطب وصل درجة سامية من الارتقاء والتقدم في عصر يسوع المسيح وأن الله أكرم رسوله بأن منحه قوة شفاء الأمراض بكيفية معجزية وسلطان خاص به وقد رأيت مما أوردنا عليك من قصصهم عن يسوع ومعجزاته شدة اعتقادهم بقوته على عمل المعجزات

ويوجد في كتاب المصنّوي لجلال الدين الرومي بعض أبيات شعر تمثل وجود جماهير من المرضى يحاصرون باب عيسى لأجل الشفاء ثم بعد نوال الشفاء يركضون ويقفزون فرحاً وسروراً

(٤) وأخيراً أن المسيح حي في السماء يشفع في أمته وقد قال البيضاوي في تفسيره « وجيهاً في الدنيا والآخرة (آل عمران: ٤٦) » الوجاهة في الدنيا النبوة وفي الآخرة الشفاعة ومن المقربين من الله وقيل إشارة إلى علو درجته في الجنة أو رفعه إلى السماء وصحبته الملائكة « على أن المسلمين يختلفون في تعيين المكان الذي يقيم فيه يسوع الآن فتقول علماء السنة إنه لم ير فساداً ولكنهم يختلفون في تعيين السماء التي يقيم فيها الآن بجسده المولود من مريم العذراء فيقول بعضهم إنه في السماء الثانية وغيرهم إنه في الثالثة وغيرهم في الرابعة وقد قال لي أحد علماء الشيعة إنه في أعلى الدرجات وأعلى السموات أي السماء السابعة حسب اصطلاحهم

ومن كل ما تقدم يتضح لك إن كل ما ورد عن صفات

يسوع ومقامه وذاته في الكتب الإسلامية يشير بجلاء أن مؤسس الديانة المسيحية قد ولد بكيفية معجزية وكانت له قوة خارقة العادة على عمل المعجزات وأنه آخر الأنبياء وأعظمهم قبل ظهور محمد وقد خصه الله بشرف رفيع دون سواه إذ رفعه إليه إلى السماء ولكن مع كل ذلك هو إنسان مثل سائر الناس ورسول من الله ومن أهم أغراض رسالته أنه جاء إلى العالم ليبشر الناس بمجيء محمد بعده (!!)) وهذا القول الأخير منتهى التعاليم الإسلامية عن يسوع حتى أنه جرى مجرى المثل على ألسنتهم ولا تخاطب كبيراً أو صغيراً له أدنى إلمام بآيات القرآن إلا ابتدرك بقوله « وإذ قال عيسى يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » (سورة الصف: ٦) وبهذا القول الخارج من شفتي محمد والمنسوب للعزة الإلهية كوحى من الله تعالى لم يقتصر نبي العرب بجعل نفسه خليفة بني الناصرة بل حل محله في كل شيء

وقد اجتهد علماء الإسلام في تأييد هذه الدعوى من

العهدين القديم والجديد فلم يفلحوا فترجموا الكلمة بارقليط الواردة في (يوحنا ١٦ : ٧) ترجمة بعيدة عن الأصل وقالوا إن المقصود بها الإشارة إلى مجيء محمد ولم يكتفوا بذلك بل أخذوا الآيات الواردة في (تثنية ٣٣ : ٢ وأشعيا ٧ : ٢١ والمثل في متى ٢٠ ويوحنا ٤ : ٢١ و١ يوحنا ٤ : ١ – ٣) وزعموا أن جمعها تشير إلى محمد (!!)

ففي (تثنية ٣٣ : ٢) يقول « جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألاً من جبل فاران » فيقولون إن سيناء جبل يهودي وسعير جبل في الجليل حيث مات المسيح أما فاران فجبل قرب مكة ويشار به إلى الديانة الإسلامية (انظر الرد بأدناه)

أما نبوة أشعيا القائلة « فرأى ركاباً أزواج فرسان. ركاب حمير ركاب جمال فأصغى اصغاءً شديداً » فيقولون فيها إن المقصود بركاب الخيل هو عهد موسى وبركاب الحمير إلى الحمار الذي ركبه المسيح وبالجمال إلى محمد (انظر الرد)

أما المثل الوارد في الاصحاح العشرين من إنجيل متى فإنهم

يقولون إنه يشير إلى الثلاثة عهود فالصبح يشير إلى العهد اليهودي وفعلة الظهر إلى رسل المسيح أما فعلة الساعة الحادية عشرة فهم المسلمون وهذا التفسير مبني على حديث جاء عن محمد قال « مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوماً يعملون له عملاً يوماً إلى الليل على أجر معلوم فعملوا له إلى نصف النهار فقالوا له لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا اكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملاً فأبوا وتركوا واستأجر آخرين بعدهم فقال اكملوا بقية يومكم هذا ولكم الذي شرطت لهم من الأجر فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا لك ما عملنا باطل ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه فقال لهم أكملوا بقية عملكم فإن ما بقي من النهار شيء يسير فأبوا واستأجر قوماً أن يعملوا له بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا أجر الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور » (اه من كتاب الإجارة من الجزء الثاني من البخاري وقبل هذا الحديث بقليل حديث مثله يرويه عمر ابن الخطاب عن

محمد أيضاً) أما قوله في يوحنا ٤: ٢١ عن الساجدين الحقيقيين وقول المسيح « ستأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للاب » فإنهم يفسرون الساجدين الحقيقيين بالمسلمين ومما يدل على منتهى جسارتهم في تأويل آيات الكتاب لغير معناها قولهم في (١ يوحنا ٤: ١ - ٣) « بهذا تعرفون روح الله كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله » فيقولون إن محمداً هو روح الله الحقيقي لأنه اعترف وعلم أن يسوع المسيح قد جاء في الجسد أي أنه أتى إنساناً وإنساناً فقط لا إلهاً. وبهذه الكيفية يتحد القرآن ومفسروه على تغطية مجد وجلال صفات الرب يسوع وشخصه العظيم بوضعهم نبيهم آخر الأنبياء وأعظم المرسلين وأن يسوع نفسه جاء ليشهد له وينبئ بمجيئه وما فعلوه بشخص المسيح الكريم وصفاته الجليلة فعلوه أيضاً بتعاليمه السامية كما سترى في الفصل الثاني

﴿ الرد على أقوال علمائهم التي أوردناها ﴾

لا يخفى على اللبيب إنه لو كان قد فاه ربنا يسوع المسيح بأي نبوة من هذا القبيل (عن محمد) لكانت وردت في الإنجيل

الظاهر ومع اعتراف نبي المسلمين بصحة الإنجيل الموجود في عصره وسلامته من التبديل والتحريف لم يقدر أن يثبت هذه الدعوى منه وأنت تعلم أيها القارئ أنه إذا كانت موجودة فيه في ذلك الحين لما استطاع المسيحيون حذفها لتشييع مذاهبهم ولوقوف المسلمين لهم بالمرصاد فأين الدليل إذاً على صحة هذه الدعوى

أما الكلمة بارقليط فهي كلمة يونانية يحكم في صحة ترجمتها أبناء لغتها لا العرب ولا الأقباط أو غيرهم بل علماء اليونان وهؤلاء يترجمونها إلى العربية كما هي واردة في الإنجيل حيث لا يشتم منها كلمة أحمد أو محمد. أما جبل فاران فهو الجبل الذي تلاًماً منه الرب عندما أتى من سيناء وهو الجزء الجنوبي من الجبال التي في القسم الشمالي الشرقي من بادية التيه المسمى الآن جبل مفرعة ولا يوجد قرب مكة جبل بهذا الاسم (!) وسيناء وسعير وفاران أسماء سلسلة جبال كائنة في بركة تيه بني إسرائيل وهي التي تجلى عليها الله لبني إسرائيل

أما عبارة أشعيا فلو راجعت الاصحاح من أوله نجده

نبوة عن خراب بابل على يد مادي وفارس وقد كان الماديون يستعملون الخيل والحمير والبغال لجر مركباتهم ويركبون الجمال أيضاً ويتكلم النبي عن حارس باب بيت الملك وصراخه عندما رأى الهلاك مقبلاً فلا علاقة البتة بهذه النبوة التاريخية والتفسير المعتسف من الأديان اليهودية المسيحية والإسلامية

أما الكلام في متى أي المثل الوارد هناك فقد كفاه المسيح مؤونة التأويل بقوله في ختامه هكذا يكون الآخرون أولين والأولون آخريين لأن كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون فالكلام محصور في ملكوت المسيح أي كنيسته وغاية المسيح من أن يري تلاميذه غلظهم بعدم اقتناعهم بالهبة الإلهية أي الحياة الأبدية كغيرهم من المؤمنين وتوقعهم أن ينالوا أكثر من غيرهم لإتباعهم المسيح قبل الجميع وتركهم أكثر مما تركه الغير لأجله وغاية هذا المثل بيان حقيقة واحدة هي أن الحياة الأبدية هبة يتساوى بها جميع المؤمنين. أما كلام المسيح للسامرية في (يوحنا ٤ : ٢١) فهو إشارة إلى بداء نظام جديد وإزالة النظام القديم الذي استمر ١٥٠٠ سنة وأوجب فيه على اليهود أن يذهبوا ثلاث مرات في

السنة ليعبدوا الله في مكان معين ولم يقصد بذلك تعيين مكة وإلا لكان قالها ولكنه قال ما يخالف هذا الزعم « ولكن الساجدين الحقيقيين هم الذين يسجدون للآب بالروح والحق » لا في مكان معين ولا إمام مقامات أو احجار صماء معلومة ولا بمجرد الشفتين بتكرار بعض الألفاظ دون التمسك بمعناها بل عبادة الآب عبادة روحية محضة مؤسسة على الحق أي معرفة الله وطريق الاقتراب منه كما أعلنها يسوع المسيح الذي هو الحق وأن تكون صحيحة لا ظاهرة فقط وهذا هو الفرق بين العبادة في الديانة المسيحية وغيرها من سائر الأديان

أما ما جاء في (١ يوحنا ٤ : ١ - ٣) فإن الرسول يحذرهم من الأنبياء الذين ينكرون على يسوع كلمة الله الأزلية وروحه بتجسده وتألمه وموته وقيامته وصعوده الأمور التي يعترف بها الرسول في أماكن آخر عديدة فإن أولئك أضداد المسيح وليس لهم روح الله. إن الكلام هنا عن ناسوت المسيح وما تبعه من الأعمال المذكورة في إنجيل يوحنا ذاته ورسائله هذه فهل رسول المسلمين ونبیهم یسلم لیوحنا بها لنقول عنه بحق إنه من الله؟



الفصل السادس

تعاليم المسيح

إن العهد الجديد عموماً والبشائر الأربع خصوصاً تذكر لنا بإسهاب تعاليم السيد المسيح بقدر ما تشرح لنا حياته وخدمته أما القرآن والأحاديث الإسلامية فلا تسير على هذا النمط بل تشير إلى أمور قليلة جداً لا تروي غليلاً ولا تفيد المعنى المقصود من كلام ذاك الذي قيل عنه. إنه لم يتكلم أحد قط مثل هذا الإنسان ومع أننا رأينا أنه توجد إشارات كثيرة في القرآن ليسوع المسيح ولكن من المدهش أنه لا يوجد في كل القرآن إلا اقتباسات قليلة جداً مأخوذة مباشرة وحرفية من الكتاب المقدس يوجد اقتباس واحد من العهد القديم قوله في (سورة الأنبياء: ١٠٥) « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر إن الأرض يرثها عبادي الصالحون » (راجع مزمور ٣٧: ٢٩) وتوجد آيات قرآنية اقتبست عن الكتب المقدسة معنى لا لفظاً منها (سورة العنكبوت: ٦٠) « وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله

يرزقها وإياكم وهو السميع العليم « راجع (متى ٦: ٢٦) عن عناية الله بطيور السماء (سورة الكهف: ٢٤) « ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله » وهذا يماثل قوله في (يعقوب ٤: ١٣ - ١٥) « أنتم الذين لا تعرفون الغد... عوض أن تقولوا إن شاء الرب وعشنا ففعل هذا أو ذاك » (سورة الشورى: ٢٠) « من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب » وهذا يشابه قوله في (غلاطيه ٦: ٧) « فإن الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً »

وأقرب اقتباس للفظ الكتاب المقدس هو ما ورد في سورة الأعراف: ٣٩ « إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين » يماثل قوله في (متى ١٩: ٢٤) « إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله »

ومن مقابلة هذه الأقوال مع ما ورد في العهد الجديد مع

العلم أن القرآن لا يشير إلى أنها مقتبسة منه ولا يريد أن يعترف له بصورها منه كجزءٍ من تعاليم ربنا يسوع المسيح نستطيع أن نرى فكر نبي المسلمين عن الرسالة التي جاء بها يسوع لليهود فإنه لا يتضح من القرآن أن رسالة يسوع كانت عمومية بل يتضح عكس ذلك أي إنه يعترف به رسولاً خاصاً لليهود وليس للعالم كله ولو أن حواريه حملوا رسالته إلى جميع أقاصي الأرض. إنه يعترف أن يسوع المسيح كان رسول الله لليهود الذين ضلوا وكفروا فصنع يسوع المعجزات ليقنعهم بصحة رسالته وليقبلوا الوحي المنزل عليه من الله أي الإنجيل ولكن القرآن لا يبين لنا نوع الضلال الذي وقع فيه اليهود أو الكيفية التي بها بعدوا عن دين إبراهيم أي الإسلام الذي هو الإيمان بالله الواحد فقط ورد في محل واحد في (سورة التوبة: ٣١) « إن اليهود قالت إن عزيراً ابن الله » ولكن متى كان ذلك هل كان قبل المسيح أو بعده أن القرآن لا يعطينا جواباً صريحاً

وذكر الكرمانى في كتابه تاريخ الأزمنة والشعوب أنه لما كان عيسى ابن ثمانى سنوات ختنوه ودعوا اسمه يسوع ولما

بلغ الثلاثين من عمره نزل عليه الوحي فدخل بيت المقدس حيث كان بنو إسرائيل يبيعون ويشترون فابتدأ يضربهم ويقول لهم يا أولاد الأفاعي والحيات هل جعلتم بيت الله سوقاً حينئذ أنزل الله عليه الإنجيل مع جبرائيل عشر مرات!!

وبما إن القرآن وبالتالي جميع المسلمين يعتبرون الإنجيل الكتاب المنزل على يسوع فيجدر بنا أن نرى ما يقوله القرآن عن صفة الإنجيل وسلطانته. وكلمة إنجيل كما لا يخفى كلمة يونانية هي (إيقانجيليون) وقد وردت في القرآن اثنتي عشرة مرة راجع (سورة الأعراف: ١٥٦ وسورة آل عمران: ٣ و ٤٩ و ٦٦ وسورة الحديد: ٢٧ وسورة الفتح: ٢٩ وسورة التوبة ١١٢ وسورة المائدة: ٤٩ و ٥٠ و ٦٩ و ٧١ و ١١٣ وسورة مريم: ٣٠) وقد ذكر في هذه الأخيرة عن لسان يسوع « إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبياً » وفي جميع هذه النصوص يشير بأوضح عبارة إلى نزول الوحي على المسيح وأن إنجيله هو كلام الله الذي لا افتراء فيه وقد أطلق الكتابة المسلمون كلمة إنجيل على كل أسفار العهد الجديد معاً وترى أن السور التي يكثر فيها ذكر الإنجيل هي

السور المتأخرة في التنزيل هذا وإن القرآن لا يبدي شكاً ولا ريباً في صحة تنزيل هذه الأسفار وصدق سندها وإنها تعاليم المسيح ورسالته أتى بها من السماء للناس بل إنها تؤيد كل الكتب التي أنزلت من قبله ويشهد لها إنها كلام الله وأنها هدى للناس وإنها التي ترشد الناس للخلاص من الطغيان والكفر بل قال في سورة (المائدة: ٧١) « لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل » وقد دعاه كلمة الحق وقال إن التمسك بما جاء فيها يربي في الإنسان روح الخشوع والتعبد (سورة الفتح: ٢٩) وإن من يعمل بالإنجيل يجعل الله في قلبه رافة ورحمة (سورة الحديد: ٢٧) ولكن بما أن محمداً يستند على الإنجيل في تأييد رسالته ويستشهد بقول المسيح نفسه مع شيوع استعمال الإنجيل بين مسيحي عصره لا يجد مسلمو العصر الحالي حجة يدفعون بها أفكار المسيحيين وجود هذا القول عن إنجيلهم سوى القول إن المسيحيين حرفوا كتابهم أو أضاعوه إذ فقد منه (حسب زعمهم) القول الوارد في (سورة الصف: ٦) « وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من

التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد» أما سبب هذا الالتباس فيقول مفسرو الإسلام أن الكلمة اليونانية (باراكليتوس) قد وضعت بدل الكلمة (بيريكليتوس) التي تحتل معنى أحمد على أن العمده في ذلك على علماء اللغة اليونانية الذين اتفقت كلمتهم مدة ثلاثة أو أربعة أجيال قبل ظهور محمد على كتابة الكلمة كما هي في الإنجيل علاوة على أن سياق الكلام يدل على مجيء إله لا إنسان يسكن في قلوب المؤمنين ويعزيهم ويرشدهم ويذكرهم بكل أقوال المسيح. فهل سار محمد على هذه الخطة وهل ادعى لنفسه الألوهية إننا نعلم أن نبي المسلمين لا يرضى لنفسه هذا الإدعاء كما أنه لم يقر بشروط الباركليت الموعود به من المسيح الوارد في (يوحنا ١٤ : ١٦ و ١٥ : ٢٦ و ١٧ : ٧). إذاً لا يمكن أن تكون الإشارة إلى محمد بل إلى الروح القدس الأقدس الثالث من اللاهوت. وهل يرضى محمد أن يكون مرسلًا من المسيح كما قال له المجد عن الروح القدس وهل سار محمد على الخطة التي رسمها المسيح ووعظ وذكر بنفس كلمات المسيح فأين إذاً المطابقة؟ قد انتفت بلا اشكال.

ولكنهم مع كل ذلك يقولون إن المسيح أنبأ بمجيء محمد وأشار صريحاً إليه في الإنجيل ويقول المفسرون والمتأخرون إن تعاليم يسوع كانت جميعها على مذهب التوحيد الصرف ولكن الحواريين حرفوه وبدلوه وقد قال الكلبي في شرح قول القرآن الوارد في (سورة التوبة: ٣١) « وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون » إن النصارى كانوا على دين الإسلام إحدى وثمانين سنة بعد ما رفع عيسى عليه الصلاة والسلام يصلون إلى القبلة ويصومون رمضان حتى وقع فيما بينهم وبين اليهود حرب وكان في اليهود رجل شجاع يُقال له بولس وكان قتل جملة من أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام فقال يوماً لليهود إن كان الحق مع عيسى فكفرنا به فالنار مصيرنا فنحن مغبونون إن دخلوا الجنة ودخلنا النار ولكن سأحتال وأضلهم حتى يدخلوا النار وكان له فرس يقال له العقاب يقاتل عليه فعرقب فرسه وأظهر الندامة ووضع على رأسه التراب فقالت له النصارى من أنت فقال بولس عدوكم وقد نوديت من السماء

إن ليس لك توبة إلا أن تنتصر وقد تبت (وهذه الحكاية ولا شك تشير إلى تاريخ اهتداء بولس في أعمال ٩) فادخلوه الكنيسة فدخل بيتاً فيها فأقام سنة لا يخرج منه ليلاً ولا نهاراً حتى تعلم الإنجيل ثم خرج فقال نوديت إن الله تعالى قد قبل توبتك فصدقوه وأحبوه ثم مضى إلى بيت المقدس واستخلف عليهم نسطوراً وعلمه أن عيسى ومريم والإله كانوا ثلاثة ثم توجه إلى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت وقال لهم لم يكن عيسى بأنس ولا بجن ولكنه ابن الله وعلم بذلك رجلاً يقال له يعقوب ثم دعا رجلاً يقال له ملكان وقال له إن الإله لم يزل ولا يزال عيسى فلما استمكن منهم دعا هؤلاء الثلاثة واحداً واحداً وقال لكل واحد منهم أنت خالصتي وقد رأيت عيسى في المنام فرضي عني وقال لكل واحد منهم إني غداً أذبح نفسي فادع الناس إلى نحلتيك ثم دخل المذبح فذبح نفسه وقال إنما افعل ذلك لمرضاة عيسى فلما كان يوم ثلثه دعا كل واحد منهم الناس إلى نحلته فتبع كل واحد منهم طائفة من الناس فافترقت النصارى ثلاث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية فاختلفوا واقتتلوا

فواضح من هذا الحديث ومما يشابهه من الأحاديث التي يتغنى بها المسلمون في كل مكان وزمان إن الإنجيل الذي بيد المسيحيين الآن ليس هو الإنجيل الحقيقي الذي علم به المسيح ومع أن القرآن يأمر المسلمين بالتمسك بعروة التوراة والزبور والإنجيل الوثقى لأنها كتب الله وكلام الله فإنك لا تجد في القرآن ولا في الأحاديث إشارة إلى محتويات تلك الكتب لا سيما ما تضمنته من الكلام عن الخطية والخلاص وهما أهم تعاليمها

ومن حكاية حبيب النجار الغربية المذكورة في سورة (يس: ١٣ - ٣١) نعلم أن الرسل بشروا في أنطاكية واهتدى البعض على أيديهم منهم حبيب النجار غير أن القرآن لم يذكر شيئاً عن حالة المسيحيين هنالك ولا عن كيفية التبشير ولا أن التلاميذ دعوا مسيحيين في أنطاكية أو لا ويقول البيضاوي إن أهل أنطاكية كانوا عبدة أصنام فأرسل إليهم عيسى عليه السلام اثنين يحيى ويونس فلما قربا إلى المدينة رأيا حبيباً النجار يرعى غنماً فسألها فآخبراه فقال أمعما آية فقالا نشفي المريض

ونبرئ الأكمه والأبرص وكان له ولد مريض فمسحاه فبرئ فأمن حبيب وفشا الخبر فشفي على أيديهما خلق وبلغ حديثهما إلى الملك وقال لهما ألنا إله سوى إلهتنا قالا نعم من أوجدك وإلهتك قال حتى انظر في أمركما فحبسهما ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل متكرراً وعاشر أصحاب الملك حتى استأنسوا به وأوصلوه إلى الملك فأنس به فقال يوماً سمعت أنك حبست رجلين قال فهل سمعت ما يقولانه قال لا فدعاهما فقال شمعون من أرسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه وأجزا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بسلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصر وأخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون رأيت لو سألت إلهك حتى يصنع مثل هذا حتى يكون لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر إلهتنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع ثم قال إن قدر إلهكما على إحياء ميت آمننا به فدعوا بسلام مات منذ سبعة أيام فدعوا فقام وقال إني رأيت شاباً حسناً يشفع لهؤلاء

الثلاثة شمعون وهذان فأمن جمع ومن لم يؤمن فصاح عليهم جبريل فهلكوا. فبدأ حبيب النجار يبشر قومه فأخذوا يرمونه ولما هموا بقتله رفعه الله إلى الجنة ولا يزال قبر حبيب في إنطاكية إلى يومنا الحاضر مزاراً للمسلمين « (راجع تفسير البيضاوي لهذه الآيات وتفسير الزمخشري)

لما نرجع إلى الأحاديث والتأليف الإسلامية المتأخرة نجد فيها إشارات صريحة إلى تعاليم المسيح واقتباسات تكاد تكون حرفية فجاء في البخاري قوله قال النبي صلعم إن الله تعالى يقول في يوم القيامة أيها الناس إني كنت مريضاً فلم تزوروني فيقولون له سبحانك رب الكون كيف كنا نزورك فيجيبهم أن أحد عبادي كان مريضاً فلو زرتموه لوجدتموني عنده وهذا تعليم مهم في بابه لأنه يشعر بقرابة بين الله والإنسان الأمر الذي ينكره الإسلام إنكاراً كلياً. وقد أشاروا إلى تعاليم يقولون إن يسوع قد فاه بها في الإنجيل الأصلي فقالوا قال عيسى في الإنجيل ارج إذا خفت وخف إذا رجوت. حياتك نسמת معدودة و عليك رقيب فلا تنس الموت لأن

الموت لا ينسأك. الصحة الجيدة ملك متكرر. القلق من صفات الهرم. يستطلب ابن آدم كل ممنوع. الرشوة تعمي أعين الحكماء (العلماء) فكم بالحري الجهال. ابك مع الباكين واضحك مع الضاحكين. وقد جاءت قصة كتاب بني إسرائيل المنسوب لوهب ابن منبه وهي أن عيسى عليه السلام مر ذات يوم بجمجمة مطروحة على قارعة الطريق فأمرها أن تتكلم فأطاعت وقالت إني أنا بلوام ابن فلان الفلاني ملك اليمن وقد عشت ألف عام وتزوجت نساء كثيرات وقتلت أعداءً كثيرين وفتحت مدناً كثيرة فليعتبرني من يراني ولا يخدعه العالم كما خدعني لأن كل أيامي الماضية لا أراها إلا كحلم فبكى عيسى. ويوجد اقتباس من الرسائل يذكره المسلمون وينسبونه لنبينهم. بشهادة أبي هريرة وهو قال الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لم تره عين ولم تسمعه إذن ولا خطر ببال بشر وهذه وردت في (١ كورنثوس ٢: ٤) لكننا نرتاب في صحة نسبتها إلى محمد لأن أحاديث كثيرة قد وضعت ونسبت إليه دون أن يكون قد فاه بها

وقد جاء في كتب المتأخرين أشياء كثيرة من هذا النوع

ففي عوارف المعارف لشهاب الدين السهروردي جاء ذكر الولادة الجديدة ونسبة التعليم بها للمسيح فقال « فموت الطبيعة والإرادة الذي يدعونه الولادة الثانية كما كتب عيسى عليه السلام » إلى آخر ما جاء

وجاء في كتاب إحياء علوم الدين للغزالي « رأيت مكتوباً في الإنجيل » نحنا لكم فلم تلطموا زمرنا لكم فلم ترقصوا » ثم يقتبس القول الوارد في متى ٦ : ٢٩ « انظروا إلى طيور السماء » الخ

ويذكر الطبري في تاريخه عن مسألة رسم يسوع فريضة العشاء الرباني وغسل أيدي تلاميذه وطلبه منهم أن يسهروا معه ونبوته بجحود بطرس ويقتبس قوله « اضرب الراعي فنتبدد خراف الرعية » وبعد محمد بعدة أجيال قام شعراء سوريا وإيران ونظموا بعض تعاليم المسيح كما وصلت إليهم من المسيحيين مجاورهم ومن كتب التقليد والأحاديث فجاء في كتاب بستان السعدي مثل العشار والفريسي بكيفية غريبة

ومن هذا يتضح لك أن مجاورة المسلمين للمسيحيين ساعدتهم على نقل القصص والتعاليم المسيحية إلى تأليفهم الشعرية

وقد تجرأ بعض مؤلفي الإسلام أن ينسبوا إلى محمد أقوال المسيح وتعاليمه وينقلوه عنه كأنه هو قائلها ومن نسبتهم أقوال المسيح لنبيهم يتبين لنا قصدهم الذي طالما جأهروا به وهو وضع نبيهم في مقام أسمى من مقام المسيح وسعوا جهدهم في وضعه محل المسيح. وإخفاء المسيح لإظهاره هو ولذلك لا غرابة إذا نسبوا إليه بعض أقوال المسيح إن العالم اغناز جولدزيهر العلامة النمساوي المشهور رئيس أساتذة جامعة بودابست عاصمة المجر ومعروف جيداً لدى دولة الأمير فؤاد باشا رئيس الجامعة المصرية قال إن كلمات كثيرة فاه بها المسيح نُسبت إلى محمد منها قولهم إن محمداً قال إن من الذين يغطيهم الله بظله في اليوم الذي لا ظل فيه الرجل الذي كان يؤتي الصدقات سراً فلا يعرف شماله ما تعمل يمينه وقال عبيد الله بن مسعود « نظرت نبي الله وإذا بالناس تضربه وتهينه وهو يمسح جبينه بيده ويقول « اللهم اغفر لشعبي لأنهم لا يعلمون ما يعملون » قال المفسرون وهم يخبطون خبط عشواء إن النبي اقتبس كلام نوح النبي عليه السلام « (!!) وقالت الصحابة رضي الله عنهم « كونوا ودعاء

كالحمام « وقال محمد صلعم « إن أكثر أهل الجنة مساكين بالروح » ومن أهم الاقتباسات الصلاة الربانية ويقول جولدزيهر إن أبا الدرداء الذي كان من معاصري النبي محمد ولم يهتد إلى الإسلام إلا بعد زمن إلا أنه صار من أعظم علماء القرآن وكان في أيام عثمان إماماً في دمشق حيث مات سنة ٦٥٢هـ قال (أبو الدرداء) قال محمد صلعم إذا كان أحدكم مريضاً أو كان أخوه مريضاً فليقل هذا الدعاء « اللهم ربنا الذي في السماء ليتقدس اسمك ملكوتك في السماء وعلى الأرض وكما إن رحمتك في السماء فلتكن هكذا على الأرض اغفر لنا ذنوبنا وآثامنا لأنك أنت رب الجود وانزل على المرضى رحمة من رحمتك وبرءاً من برئك لينالوا الشفاء من لدنك إنك الرحيم الغفور » ويقول العلامة جولدزيهر إن المسلمين حتى في حياة نبيهم اجتهدوا أن يضيفوا إلى حياة النبي وتعاليمه كلما وجدوه في حياة المسيح وتعاليمه طالما كان أثلاً لإضافة مجد وعظم وإكرام نبيهم ولذلك لا عجب إذا وجدنا نبي المسلمين قد تحول من صورة صفاته إن لم تكن صورة شخصه إلى صورة صفات مشابهة لما كان للمسيح حتى

يكون له في قلب المسلم المكان الأرفع الذي لا يمكن لأحد أن يناظره فيه أو يسموا عليه. إن المسلمين رأوا أن مركز المسيحية هو مؤسسها العظيم فشبها ديانتهم بها بأن جعلوها مرتبطة بشخص نبيهم ولذلك جعلوه مثلاً في كل كبيرة وصغيرة ولقد أجاد كويل بقوله « إنك حتى ترسم أمام المسلم التقي المتمسك بعري دينه صورة جلال روحانية ذاك الذي قال من رأيي فقد رأي الأب يلزمك أن تزيل كثيراً من البراقع الكثيفة والتقاليد التي بلا أساس التي غطت عيني المسلم فجعلته لا يستطيع أن يرى مجد جلال المسيح إن العالم الإسلامي عدا عن اعترافه أن يسوع المسيح هو نبي حقيقي وأحد الأنبياء الكبار الذين أتوا قبل محمد فإن جميعهم لا يباليون بأمر رسالته التي أتى بها للعالم ولا بصفات تعاليمه التي تميزها عن تعاليم موسى وأنبياء العهد القديم ولا ننسى في بحثنا هذا إنه مع علمنا أن موت يسوع المسيح وقيامته هو الحقيقة الجوهرية في الإنجيل فإن هذه الحقيقة ليست فقط غامضة في القرآن والحديث بل ومنقوضة أيضاً في أماكن كثيرة حتى إننا إذا أردنا أن نرى تعاليم المسيح كما يراها المسلم

يلزم أن نغض النظر عن كل ما يتعلق بالتجسد والكفارة والخلاص من الخطية بالإيمان باسمه وإنك لا تجد في كل الكتب الإسلامية أثراً ولو طفيفاً للعقيدة المسيحية العظمى وهي التبرير بالإيمان ولذلك يحق لنا أن نقول إن الإسلام باعتبار فكره وتعاليمه عن المسيح هو مضاد للمسيح والمسيحية



الفصل السابع

محمد لا يسوع

كما أنه عند كسوف الشمس لا يظهر في الفلك بهاء نورها الخاطف الأبصار ولا نشعر بأشعة حرارتها المحيية الحيوان والنبات والأزهار بل يتجلى للعين كقرص منير في كبد السماء لا ميزة له عن سائر الأجرام السماوية هكذا انكسف بهاء مجد المسيح أمام فكر المسلم فقد اتضح لك من مطالعة المصادر الإسلامية العديدة التي أشرنا إليها فيما سبق أن حياة المسيح وصفاته قد خيمت عليها سحائب كثيرة كثيفة حتى أصبحت غير منظورة للمسلم ولقد صدق أحد اعراب الإحساء في قوله لي « إني لم أكن أعرف عن المسيح إلا اسمه وإنه نبي كسائر الأنبياء حتى صارت امرأتي مسيحية وعندئذ رأيت نوراً جديداً » لأن كل ما قيل عنه سواء في القرآن لا يعطي القارئ إلا صورة مشوهة للمسيح ومهما قيل في كتبهم عن مقامه كنبي عظيم ذي إكرام جليل بين الأنبياء فإن جمهور المسلمين قلما يفتكرون عنه وإذا

خطر ببال أحدهم فإنه يكون كسحابة صيف سريعة الزوال فلا يكون له محل في قلوبهم أو في حياتهم إذ يستغنون بنبيهم عن جميع الأنبياء إذ يعتبرونه خاتمة الأنبياء وآخر المرسلين وما جاء به يغني عن كل ما سبقه ومع كل ألقاب الشرف والتكريم والأعمال الباهرة التي ينسبونها للمسيح فإن محمداً في عرفهم الأول والآخر وإنك لن تجد في كل الكتب الإسلامية كتاباً خاصاً بوصف عيسى وصفاته وأعماله كنبى ممتاز وحيد في ولادته وحياته وصفاته بل تجده مع باقي الأنبياء مصفوفاً مع لوط وذى القرنين وإسماعيل وموسى وإبراهيم وآدم

ولا يجب أن ننسى هذه الحقيقة عند بحثنا في فكر المسلم أو في الكتب الإسلامية عن عيسى لأن الديانة الإسلامية تواجه المسيحية بصعوبة لا تواجهها به أي ديانة أخرى ولقد صدق القس جاردنر بقوله « إننا عند بحثنا مع المسلم يجب أن نبحث معه بكيفية تختلف عن الكيفية التي نبحث بها مع غير المسلم فإننا لا نستطيع أن نقول انها أعدت أو تعد الطريق للمسيحية في بعض الأمور كما نقول ذلك بمعنى وبسرور عن بعض

الأديان الأخر التي ظهرت قبل المسيحية. وكيف يمكننا أن نقول ذلك عن ديانة تنكر الركن الجوهري في الديانة المسيحية. نعم إن بعض الأديان لا تعرف شيئاً عن المسيحية. وكلها غير اليهودية لا تقول عنها خيراً أو شراً ولكن الاعتقاد السائد عند المسلم هو أن ديانته جاءت في آخر الأديان ناسخة لكل ما تقدمها « وغلط المسلمين الكبير هو إنهم يعطون مجد المسيح وكل ما جاء عن المسيح لمحمد ومع أن الكتبة الأولين المعاصرين لنبي الإسلام والخلفاء الراشدين وهم من الصحابة الصادقين والأنصار المعجبين لا يتركون شكاً لقارئ كتاباتهم عن النبي بأنه لم يكن أكثر من إنسان له كل ما في الإنسان من فضائل ونقائص بينما كتبة الحديث المتأخرون ابدلوا كل هذا وجعلوه معصوماً من الخطأ بل ألوهه حتى أنك ترى من المائتي اسم واسم المعطاة له ما بنوه بتأليهه وإنك تجد هذه الأسماء في كتاب خاص بها ويتلوها كل مسلم من بلاد مراكش غرباً إلى بلاد الصين شرقاً ومنها نحو أربعين اسماً يعطيها المسيحيون لمسيحهم وكثيرون منها يطلقها المسلمون على نبيهم وعلى الله

أيضاً وهنا نذكر لك بعض تلك الأسماء المعطاة لنبي المسلمين وهي من أسماء الله الحسنى أي أنهم يشركون الله والنبي في أسماء واحدة ولو حذفت ال التعريف

أولاً)	حسب الاشتقاق
أسماء الله	أسماء محمد
الرحيم	رحيم
القدوس	روح القدس
المهيمن	مهيمن
الجبار	جبار
الفتاح	فاتح. مفتاح مفتاح الرحمة. مفتاح الجنة
الرافع	رافع الرتب
المعز	مخصوص بالعز
الكريم	كريم
المجيب	مجيب
المجيد الماجد	مخصوص بالمجد
الشهيد	شهيد

أسماء الله	أسماء محمد
الحق	حق
العزیز	عزیز
الوكیل	وكیل
القوي	قوي. ذو قوة
المتين	متين
الولي	ولي
المحيي	محيي
البرّ	بر. مبر
العفوّ	عفوّ
الرؤوف	رؤوف
المقسط	روح القسط
النور	نور. منير. مصباح. سراج
الهادي	هاد. مهدي. هدى. علم الهدى

وإذا رجعت إلى كتاب دلائل الخيرات مثلاً تجد كثيراً من الأوصاف الإلهية والمقدرة

الفائقة منسوبة للنبي كقولهم

اللهم صل على بدر التمام
اللهم صل على نور الظلام
اللهم صل على مفتاح دار السلام
اللهم صل على الشفيع في جميع الانام

ثم يقرأون هذه الأبيات مخاطبين النبي
يا رحمة الله إني خائف وجل
يا نعمة الله إني مفلس عاني
وليس لي عمل ألقى العليم به
سوى محبتك العظمى وإيماني
فكن أمانى من شر الحيوة ومن
شر الممات ومن إحراق جنماني

ويدعى نبي الإسلام علاوة على ذلك نور الله. سلام العالم مجد الدهور أول الخلائق وغير
هذه كثير من الألقاب وكل هذا ليس بشيء يذكر بالنسبة لما صاغته الصوفية من صيغ الصلاة
على محمد حتى أن من يقرأ شيئاً منها يتحقق أن ذات محمد هي عين ذات الله وصفاته عين
صفاته اقرأ مثلاً صيغة ابراهيم

الدسوقي التي مطلعها (اللهم صل على الذات المحمدية اللطيفة الأحذية الخ) وكصيغة الصلاة المشيشية المشهورة بالوظيفة الشاذلية فإنها لم تدع الله تعالى شيئاً إلا ونسبته لمحمد من ذات وصفات وأفعال ومن يقرأها يتحقق إنني لست بمبالغ بل لم أف الوصف حقه كما يعلم الله تعالى ومع أنه لا يصلي مسلم لمحمد إلا أنه يختم كل صلاة بالصلاة على محمد ويكرر ذلك مئات من المرات كلما ذكر اسمه. ورغماً عما جاء في القرآن من تصريح النبي بعدم اختصاصه بالشفاعة فإن أغلب المسلمين يعتقدون أنه صاحب الشفاعة العظمى يوم القيامة وأقوى برهان على ذلك كتب الأدعية والأوراد المستعملة في سائر البلدان الإسلامية ويقولون إن الله أكرمه فوق كل خلقه وأسكنه في أعلى فردوسه ويجعلونه في درجة أعلى إكراماً وشرفاً من عيسى بل يقولون إن بيده مفاتيح الجنة وجهنم ولا يمكن أن يكون مسلم هالكاً مهما كانت صفاته رديئة وحياته شريرة كما لا يمكن أن ينجو غير مسلم من عذاب النار مهما كانت صفاته حسنة وحياته بارة وينكرون الحاجة إلى مسيح أو وسيط ويجعلون نبيهم وسيطاً

بدلاً منه إنما بدون تجسد وبدون كفارة وبدون لزوم إلى تغيير الصفات والحياة وكل من يطالع الأحاديث راجحها ومرجوحها تتضح له هذه الأفكار كالشمس في رابعة النهار وقد حاولوا أن يجعلوه فوق المسيح فنسبوا إليه كل ما نسب للمسيح في العهد الجديد فقالوا إنه موجود قبل كل موجود وكتبوا عن سلسلة نسبه إلى ابراهيم فآدم كما أثبتت الأناجيل سلسلة نسب المسيح وقالوا إن ملاكاً بشر أمه بالحبل به وبولادته كما بشر جبرائيل مريم العذراء وإنه ضاع في صغره كما ضاع يسوع ثم وُجد ولما كان في الثانية عشرة خرج في سفر كيسوع وقبل أن دخل على خدمته الجهارية صادفته كيسوع تجارب شيطانية مشهورة ومهمة وكان أعداؤه أهل بيته وعشيرته كيسوع وقد اعترفت به أرواح العالم الغير منظورة أكثر مما اعترف به الذين أرسل لهم وكما أن الشياطين عرفت يسوع كذلك قبلت الجن الإسلام على يدي محمد وتزيد قصة معراج محمد بهاءً ومجداً عن قصة تجلي يسوع حيث مر نبي الإسلام بجميع الأنبياء وتحادث معهم ورأى يسوع في السماء الثانية ثم تركه وصعد إلى السابعة وقد

وردت أحاديث أنه كما المسيح للمسيحيين كذلك محمد للمسلمين فهو حسب قولهم فوق كل مخلوق شرفاً ومقاماً وهو خير كل المرسلين وهو حامل ختم النبوة وعضواً عن العشاء الرباني الذي رسمه المسيح قدس محمد شرب دمه حتى انه امتص مالك بن مسناب جرح النبي قال له لكل من اختلط دمه بدمي لا تستطيع نار جهنم أن تحرقه

وكذلك معجزات المسيح الكتابية وأيضاً المعجزات الوهمية التي ذكرتها الأحاديث للمسيح فإنها ليست بشيء نسبة إلى المعجزات التي يعزونها لنبيهم فيقولون إنه اتبع جماً غفيراً يزيد على ألف بقليل من الطعام ونبع الماء من بين حفنتيه فأرواهم جميعاً وفتح أعين العميان وشفى المرضى وأقام الموتى وقد ذكر له بعضهم ألوفاً من المعجزات وجعلوه أيضاً مثل يسوع في موته كما جعلوه مثله في حياته فيقولون إنه انبئ بموته وقد استأذنه ملك الموت بقبض روحه وكان لا مناص له منه فقبله بكل رضى وقد مات موت شهيد ولم يكتفوا بنسبة تلك المعجزات والأمجاد الإلهية للنبي على مثال ما نسبت في الإنجيل

للمسيح بل قالوا أيضاً إنه نبي سبق جميع الأنبياء الذين أتوا قبله وشهدوا له وتنبأ بمجيئه
وبالإجمال فإن محمداً عندهم أصبح في اعتقادهم المسيح الإسلامي وتجد سائر الشيع
الإسلامية مع اختلافها في أمور كثيرة من فرائض وأحاديث وتفسير تتفق جميعها في الحط من
كرامة المسيح سواء كانوا شيعيين أو سنيين أو وهابيين أو تابعين للسيد أمير علي بالهند. وقد كتب
أحد الشيعيين مؤخراً كتاباً اسمه مناقب الأبطال جاء فيه « إنه كما كان ميلاد المسيح معجزياً هكذا
كان ميلاد علي إنما بحالة أشرف وكما كلم المسيح أمه قبل ولادته هكذا فعل علي وكما عرف
المسيح العلوم وهو صغير هكذا عرفها علي وكما تنبأ المسيح بمجيء محمد هكذا أنبأ بمجيء علي
وكما أقام الموتى هكذا فعل علي وكما فتح أعين العميان وشفى البرص هكذا فعل علي وكما
اختلف الناس في صفات عيسى هكذا لم يتفقوا في صفات علي ولذلك نحن الذين نؤمن به نعطيهِ
المقام الأعلى » حتى ورد في حديث قول محمد لعلي إن مثلك يا علي مثل عيسى بن مريم. وقد
قيل في شفاعة الحسين

إن النبي قال له « بشراك يا حسين افعل ما بدا لك فقد تم وعد الله وخرج الأذن من القاضي الأعلى الجواد أن أعطيك مفتاح الشفاعة هذا » الخ

إننا معشر المسيحيين نتمسك بعقيدة التوحيد ونتخذها قاعدة للاتحاد مع المسلمين فنعترف من صميم قلوبنا مع المسلم أن « لا إله إلا الله » ولكن بما أنه يوجد إله واحد فقط فإنه يوجد خلاص واحد فقط ومسيح واحد فقط. وهو رأس الجسد الكنيسة الذي هو البداء بكر من الأموات لكي يكون هو متقدماً في كل شيء. لأنه فيه سر أن يحل كل الملء. وأن يصلح به الكل لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبه

إن المسيحية الحية وحدها تقدر أن تقدم هذا التبشير. المسيحية الحقيقية فقط هي التي تستطيع أن تقدم للعالم الإسلامي ما هو في شديد الحاجة إليه. إن محبتنا لهم تزداد كل يوم مهما اشتد رفضهم لمسيحنا. إننا نتألم لهذه الحالة ونحزن ولكننا نؤمن أنه سيأتي يوم فيه يعترف الكثيرون به ويقولون مع مسلمة في مراكش قالت لمبشرة « أرى الآن أن محور دياننكم

هو المسيح ولذلك أريد أن أحبه وأخدمه »

والمسألة المهمة اليوم بخصوص إخواننا المسلمين ليست مقدار تقربهم للفضائل المسيحية والمدنية المسيحية باجتهدهم في تجديد هيكل الإسلام المتخرب ولكن المسألة هي نفس المسألة القديمة « ماذا تظنون في المسيح؟ »



ملحق الفصل السابع

(لصاحب الامضاء)

حيث قد ولدت مسلماً ونشأت بين المسلمين ودرست العلوم الإسلامية بسورية ومصر فكنت أعتقد بسيدنا المسيح أنه من الأنبياء أولى العزم وأنه معصوم من كل خطية كبقية الأنبياء عند المسلمين وأنه كما قال القرآن رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الله أيده بروح القدس ففعل المعجزات الباهرات المذكورة في القرآن بإذن الله تعالى إذ هو عبد الله كباقي الأنبياء وبعد أن أدى وظيفة رسالته ومكر اليهود به وهموا بقتله رفعه الله إليه وألقى شبهه على شخص آخر فقبضوا عليه وأماتوه مصلوباً زعماً منهم أنه المسيح هذا ما كنت أعتقد في المسيح منذ حدثتني ولما كثرت اطلاعي على كتب تفسير القرآن وكتب الحديث تبين لي أن المفسرين للقرآن قد أولوا الآيات القرآنية التي تشير إلى لاهوته وموته قبل رفعه بتأويل بعيدة وتمويهات كأن قصدهم مخالفة ما صرح به الإنجيل من

لاهوته وموته مصلوباً مع أن القرآن قد شهد مراراً بأنه جاء مصدقاً للتوراة والإنجيل ومهيماً أي رقيباً وحافظاً لهما من التبديل والتغيير

فلما تبين لي ما ذكرته شمريت عن ساعد الجد والاجتهاد بتلاوة القرآن وتفاسيره بكل تحقيق وتدقيق فكشف الله لي عن حقيقة المناقضات والمنافيات الموجودة في القرآن لا سيما في المواضيع المتعلقة بحقيقة المسيح وموته ولذا أقبلت على تلاوة الكتاب المقدس أي العهد القديم والعهد الجديد بكل دقة وما حملني على ذلك إلا الآيات القرآنية الكثيرة التي تكرر المدح والثناء بأصرح تعبير وأتم تبجيل للكتاب المقدس فانكشف لي الغطاء وظهر الخفاء وتحقق لي أن حقيقة المسيح هو ما رمز إليه الله على السنة أنبيائه في العهد القديم تدريجياً وصرح به في العهد الجديد ووضحه بكل صراحة من أن حقيقة المسيح هو كلمة الله الأزلية قد تجسد في أحشاء مريم ليجمع بين عدل الله ورحمته بتقديمه نفسه فداءً عن كل من يقبله فداءً عنه وبالفعل قد سلم نفسه لأعدائه باختياره وأكمل عمل الفداء بموته على الصليب ثم

قام من قبره في اليوم الثالث منتصراً على الموت وبقي حياً بجسده بين المؤمنين به أربعين يوماً يجالسهم ويكالمهم ويأكلهم ويشاربهم وآثار المسامير في يديه ورجليه وأثر طعن الحربة في جنبه وبعد ذلك صعد إلى السماء وأعين تلامذته شاخصة إليه حتى غيبه السحاب عن أبصارهم بعد أن وعدهم بأنه سيرسل لهم المعزي الروح القدس ليعلمهم كيفية تبشير العالم ببشارة الخلاص بعمل الفداء وقد وفى لهم بما وعدهم حيث قد تكلم على ألسنتهم بلغات مختلفة لم يكونوا يعلمونها من قبل بل قد تكلم على ألسنتهم بحكم وعلوم إلهية مع أن أكثرهم عوام صيادو سمك حتى ادهشوا العلماء وحيروا الفلاسفة والحكماء

وبناءً على ما صرح به المسيح في إنجيله من أن الله واحد بالذات مثلث الأقانيم بعد أن رمز إلى ذلك في العهد القديم وأنه كلمة الله الأزلية وابنه الوحيد وأنه هو والآب والروح القدس واحد صرت بنعمته تعالى مسيحياً معتقداً أن المسيح ذو طبيعتين ناسوتي أي إنسان تام تجوز عليه الأعراض البشرية بأجمعها إلا الخطية فإنه مقدس عنها وما هذا التجسد والتقديس

عن الخطية إلا لأجل أن يكون من جنس البشر ليصح بعدل الله أن يكون فداء عنهم. ولاهوتي إذ هو الكلمة الأزلية الإلهية وبهذه الطبيعة كان يفعل ما يشاء من المعجزات والأعمال الإلهية وأنه منذ صعوده أعطاه الآب كل سلطان على الأرض وفي السماء ليكون هو الكل في الكل ومنذ صعوده هو جالس عن يمين الآب ليشفع فينا وهو موجود معنا بروحه القدس بكل أن ليرشدنا للصالح ويوبخنا على الخطايا ويعزينا في التجارب والمصائب وسيأتي من السماء مرة ثانية لأجل مداينة الخطاة واختطاف المؤمنين أحياء وأمواتاً إلى السماء ليرثوا معه الملكوت ويحيوا حياة أبدية ولو أنني سطرت بعض النعم الروحية التي أنعم عليّ بها منذ اعتمدت باسمه واستندت عليه بجميع شؤوني وما فعله لأجلي من الخوارق لطال ذلك ولكن من ذاق عرف

وحيث لا بد وان سيكون هذا الكتاب في أيدي الكثيرين من إخوتي المسلمين فإنني أنصحهم نصيحة أخوية ان يسلكوا الطريقة التي سلكتها أي يقبلوا على مطالعة الآيات

القرآنية التي مواضعها عن المسيح ويطالعون ما تكلم به المفسرون عليها ولكن يحكمون العقل الإنساني بتلك التفاسير تاركين كل تعصب وتحزب ثم يقبلون كما أقبلت على تلاوة الكتاب المقدس فإني أعتقد أنه ولا شك سيرشدهم الله تعالى بنور هدايته إلى طريق الحق والحياة بل إلى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم بنعمة الإيمان فنالوا الهداية والغفران إنه على ما يشاء قدير وبالختام فإني قد بذلت لهم نصيحتي الأخوية راجياً لهم نعمة الإيمان والسلام

المنتصر

عبد الله عبد الفادي

حلمي



الفصل الثامن

كلمة ختامية

(للمسيحيين الشرقيين بخصوص كيفية تبشيرهم المسلمين بالمسيح

لكي تحل صورة يسوع محل صورة عيسى في قلوبهم)

إن ما تقدم من وصف المسيح في الكتب الإسلامية مما يجب أن يحرك قلب كل مسيحي غيور ليقوم حالاً من سباته ويشرح لإخوانه المسلمين حقيقة وصف يسوع ليزيل من فكرهم تلك الصورة المشوهة الناقصة الغير المؤدية إلى حقيقة مخلص البشر الذي فيه حل كل ملء اللاهوت جسدياً والذي هو الحق كله وأن يخرجهم من ظلام الأحاديث إلى كمال نور شمس البر المضيئة. إننا لا نجد محركاً للمسيحيين لتبشير أخوانهم المسلمين أقوى من وجوب نهضتهم لإزالة الأفكار الناقصة عن مسيحهم التي دخلت على الإسلام من مسيحية فاترة مهملة فتمكنت فيها كحقائق وهي ليست من الحق بشيء وليس لنا لنداء جمهور المسيحيين أفضل من قول المسيح نفسه « أيها الآب قد أتت

الساعة مجد ابنك فيمجدك ابنك أيضاً » وأي باعث يبعث قلب المسيحي على تبشير إخوته المسلمين بالمسيح بكل ملئه أعظم من باعث تمجيد الله وهو باعث البواعث في كل مسيحي بل لتأمل في كلمات إشعيا « أنا الرب هذا اسمي ومجدي لا أعطيه لآخر ولا تسيحي للمنحوتات » ومما نتقدم من هذه الفصول عن المسيح في الإسلام يتضح لنا أول كل شيء أن أول رسالة يجب أن نبلغها للمسلمين هي يسوع المسيح لأن معرفتهم عنه ما هي إلا معرفة ناقصة مشوهة وغير كافية بل ومبهمة كلية ومغطة بتمجيد نبيهم وتعظيمه فما علينا إلا أن نتخذ هذه المعرفة الضعيفة التي لهم عن مسيحننا إلا سلماً نندرج به إلى تعليمهم عن الأمور الحقيقية وقد قال المرحوم الدكتور أنس (مؤلف كتاب « نظام التعليم في اللاهوت القويم ») « إن الواجب الذي علينا بسيط جداً اذهبوا إلى العالم أجمع وركزوا بالإنجيل للخليقة كلها » إنجيل المسيح لا إنجيل محمد وللخليقة كلها لأن كل الناس في حاجة للإنجيل. لأنه إن كان يمكن الاستعاضة عن الإنجيل بكتاب آخر تعترضنا مسألة مهمة وهي مسألة الخلاص هل هو بالمسيح

أم بمحمد ولكن قد علمنا المسيح أنه يوجد طريق واحد للخلاص لكل الناس وذلك الطريق فيه وفي استحقاق ذبيحته لا بأعمال بر يعملها الإنسان ولذلك لا يشتغل على سماع إذا قلنا إن دائرة الخلاص محصورة في المسيح وكل من لا يقبل خلاصه فهو هالك لا محالة. إن من يرفض المسيح ويحتقره ويضع ثقته واعتماده في آخر سواه ولو كان هو النبي العربي أو حتى في رحمة الله بفكر أن الرحمة له بصفته مسلماً أو أياً كان لا نرى رجاءً له في نوال الخلاص وإن من يضع ثقته واعتماده في نبي أو رسول غير المسيح يكون كمن يفتش لنفسه عن مخلص بشري أو ينتظر نوال الرحمة كجزء إسلامه على أن المسيحي لا ينتظر الخلاص لمجرد كونه مسيحياً كما أن المسلم لا يخلص لأنه مسلم بل كل الذين ينالون الخلاص بغض النظر عن علاقاتهم الظاهرة بالمسيحية يخلصون فقط بنا على علاقتهم بالمسيح الغير منظورة فينالون بكيفية محسوسة عندهم أو غير محسوسة وإنما بمساعدة روح الله تلك الصفات التي تجعلهم وودعاء واثقين بالله فتصيرهم في حالة مطابقة لصفات الله وحكمته وصلاحه لكي

يمكنهم أن ينالوا من الله عطية الغفران المجانية في استحقاقات المسيح ويتمتعوا بأفراح محبته وفوائد موت المسيح لأجلهم وبالإجمال فإن الخلاص هبة مجانية معطاة من رحمة الله ومؤسسة على كفارة المسيح وليس لأعمال الإنسان وبره أدنى دخل فيها وبناءً على ذلك نقول إن المسلمين في حاجة قصوى لمعرفة المسيح لأنهم لا يمكنهم نوال الخلاص بدونه. إن أخانا المسلم في حاجة لأن يعرف المسيحية كحقيقتها وأن يراها في نور الحق الكتابي كما هي إنه في حاجة لأن يعرف الخطأ المخطر الذي يتمسك به بكل إخلاص وأن توجه أنظاره إلى نور السماء الحقيقي إنه في حاجة لأن يعترف بحق المسيح وسلطانه ومقامه وصفاته بكيفية تختلف اختلافاً جوهرياً عن اعترافه به الآن. إنه في حاجة إلى التجديد الروحي والاصلاح الأدبي. إنه في حاجة إلى كل هذه الدروس وكل ما فيها من مساعدات ومشجعات ومحركات. وأما مسألة الواجب المستقرة علينا فإن كان يوجد قوم حولنا يحتاجون إلى الإنجيل وعطية الإنجيل فهم إخوتنا المسلمون فينبغي أن نقدمه لهم وإنه من الزم واجباتنا كمسيحيين

مكلفين أن نحمل الإنجيل للخليفة كلها أن نفعل هكذا »

وقد اقتبسنا هذه العبارة بالتطويل من مقالة الدكتور أنس في مجلة « المرسل في العالم الإسلامي » (أغسطس سنة ١٨٨٩) لعلمنا أنه يوجد في كنيسة المسيح اليوم من يشكون في إمكانية أو نفع تبشير المسلمين نعم إن الصعوبات السياسية وغيرها فوق ما يتصور إنسان لا سيما في بعض البلدان. والوصول إلى قلب المسلم محاط بصعوبات جمة ناتجة عن التربية والعادات والاعتقادات ولكن كل هذه لا تخفف عنا عبء المسؤولية ولا يجوز أن تحرمنا من هذا الامتياز. فيجب على كنيسة المسيح أن تستخدم كل الفرص التي أمامها وتقدم رسالة الإنجيل لأخواننا المسلمين بملء الانتظار إن قوة الروح القدس الذي عمله الخصوصي هو أن يعلن المسيح للقلوب يقود الكنيسة في وقت الله المناسب عنده في موكب النصره واكتساب النفوس لمخلصها وراعيها العظيم

يقولون إن الإسلام لا يمكنه أن يتفق مع المسيحية في عقائدها الأساسية حيث العقل لا يستطيع أن يقبل ما يقتصر

قبوله على الإيمان وذلك مثل قضايا التجسد وألوهية المسيح والثالوث. فنقول إن هذه الأمور ليست حجر عثرة للمسلم فقط بل هي قضايا وقفت المسيحية أمامها بدهشة وحدث بسببها اختلاف وانشقاق في الكنيسة ذاتها على أن هذه الحقائق هي لبّ ديانتنا وأسرارها العميقة وأركانها الجوهرية وبدونها لا تفرق المسيحية شيئاً عن الأديان والفلسفات الأخرى. ومن المهم ملاحظته أن الديانة الإسلامية التي ابتدأت بدون شفيع وبنبي هو بشر لا سوى ذلك تدرجت مع مرور الأجيال إلى نسبة وظائف وصفات الشفيع الذي هو المسيح إليه وهذا الأمر يدلنا بأعظم برهان على شدة شعورهم بالحاجة إلى المسيح هنا التقليد الذي ما عليه مزيد فلما نقدم المسيح لأخينا المسلم العارف بعباسي وبعض صفاته فنكون قد قدمنا له حقيقة ما ينقصه في إيمانه ونأتي له بالضالة التي يبحث عليها في خلدته ولا يجد للوصول إليها سبيلاً. وإن كان الصليب هو الحلقة الوحيدة المفقودة في قانون إيمان المسلم فالتبشير بالصليب مع أنه حسب الظاهر جهالة عنده فإنه يكون بعد قليل للمسلم حكمة الله وقوته.

وكما قيل في مؤتمر المرسلين المسكوني بادنبرج « بما أن الإسلام مضاد للمسيحية فالجمع بينهما محال ولا يتم التوفيق بينهما إلا بتقرير الأمور التي يشار إليها في الاثنتين تقريراً واضحاً مع الإشارة الصريحة بالبرهان الجلي أن هذه الأمور موجودة بكيفية أصح وعبارة صادقة ومعتبرة ومؤيدة في المسيحية أكثر منها في الإسلامية »

وبين كل النقط الجوهرية التي نتكلم فيها مع أخينا المسلم لا توجد نقطة أهم من حقيقة المسيح لأن الإسلام كما رأينا يسلم بمجيء المسيح وولادته الخارقة الطبيعة ووظيفته السامية بصفته آتٍ بإعلان خصوصي من الله وبعصمته من الخطأ وبحنوه على الناس وبعمله المعجزات بل إن ذات أسمائه المعطاة له في القرآن والحديث يمكن اعتبارها أدلاء تقودنا منها إلى الإنجيل بل حتى الأقوال المتضاربة التي جاءت في الأحاديث عن صلبه وموته يمكن اتخاذها حجة دامغة على صدق الحادثة والاستدلال بها بكيفية معقولة مقبولة على صلب المسيح وموته لأجل الخطاة أجمعين إذ لا حل لهذا الإشكال ولا توفيق لهذا التناقض في

الأقوال إلا التسليم بما يؤيده التاريخ وتشهد به حقيقة الحال. إن المسيح يسوع سلامنا ولذلك قال القرآن « سلام عليّ يوم وُلدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً » (سورة مريم: ٣٤) وهذه الأيام الثلاثة التي يعتبرها القرآن في تاريخ ربنا يسوع هي الأيام الثلاثة المقدسة في التاريخ المسيحي وعند كافة المسيحيين أي يوم الميلاد ويوم الجمعة الحزينة (الكبيرة) ويوم القيامة. وهكذا بقبولنا الحقائق المسلم بها بخصوص مسيحننا في الدين الإسلامي وتوجهنا أنظار أحننا المسلم من نوره الضئيل المظلل إلى النور الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم نساعد أحننا المسلم أفضل مساعدة ممكنة. ومع أن الفكر الإسلامي عن الله ليس له السمو والقداسة التي للفكر المسيحي من جلاله وطهارته وقداسته غير أن التوحيد الإسلامي أساس نقدر أن نبني عليه بناء معرفة الله معرفة أتم وأكمل لا سيما عن قداسته وعدله ومحبته وبهذه الكيفية يستطيع المسلم المعترف بيسوع أنه نبي فقط أن يقبل بكل ترحاب معرفة أوسع وأتم عنه وعن صفاته فينتقل بكل ارتياح من صورة يسوع الناقصة كما هي في القرآن إلى جماله

الباهر الموصوف في الإنجيل وبهذه الكيفية يكون تبشيرنا له تبشيراً بانياً وفي الوقت ذاته يكون هادماً. إننا نقدر إذا تحكمتنا وسلمنا أنفسنا لإرشاد روح الله أن نبين لأخينا المسلم فساد تصوراته عن الله وعن يسوع كما تصورهما له كتبه ونسرع به إلى الصورة الحقيقية الكاملة... إننا لا نخفي عن القارئ اللبيب أن الإسلامية تضاد المسيحية في أمور كثيرة وتضاد آداب المسيحية وتتناقض أهم مبادئ المسيحية في أمورها الأساسية جوهرها ولبها ومع كل ذلك فإن قبولها أنبياء العهد القديم والإكرام الممتاز الذي تخصص به ربنا يسوع المسيح والشهادة القوية الواردة في القرآن للكتب المقدسة كل هذه مبادئ استعدادية مهمة رغماً مما جاء من التناقضات والإنكار ولذلك وجب أن نصير للمسلم مسلمين لنربحه للمسيح وجب أن نفعل ذلك كما فعل بولس لا بالمجاراة والمداراة ولكن بتضحية الذات والاشتراك في الحاسيات والمحبة التي بلا رياء. يجب على من يبشر المسلمين أن يكون عالماً بديانتهم. إن أعظم صعوبة في سبيل تبشير المسلمين إلى يومنا الحاضر هي جهل

المبشرين القرآن والأحاديث و حياة محمد والفكر الإسلامي عن المسيح وعوائد وطباع المسلمين التي أنتجتها فيهم الإسلامية إن أقرب طريق إلى قلب المسلم هي الطريق الداخلية لا الخارجية هي رفع الحواجز التي في قلب المبشر بالإنجيل والحواجز التي في قلب المسلم ووجوب اعتبار المبادئ الأولية التي يعتقد بها في الدين المسيحي ويتفق معنا فيها الدين الإسلامي واتخاذها سلماً للوصول إلى الحقيقة الكاملة. هي إظهار سمو المسيحية في التعليم والحياة وتفوق المسيحية عن الإسلامية في ذلك. إن كثيرين من المسلمين يعيرون على نبيهم صفات كثيرة وإن كانوا لا يستطيعون أن يصرحوا بذلك ولكن ما جاء في القرآن والأحاديث الأولى كاف لأن يرو فيه ما يرى في كل إنسان معرض للزلة والخطأ وما جاء عن علاقته بالنساء وما أشبه يجعل بعضهم يحارون في الفكر عنه فعلى المبشر بالإنجيل أن لا يجرح احساسات أخيه المسلم بذكر هذه المعائب بلا لزوم بل عليه أن يبين له سمو صفات يسوع وطهارة سيرته ونقاوة حياته كما جاء عنه في الكتب الإسلامية ذاتها وفي الإنجيل بكيفية أتم

وأكمل. واعلم أن ترك إيمانك مداراة للمسلم لا تكسبك احترامه. إنه يعظم نبيه فلماذا لا تعظم مسيحك وتكرمه في عيني المسلم بل اعلم أن تقديم المسيح له بشجاعة وإظهار الحقائق المسيحية أمامه بكيفية واضحة تجعل سموها وجلالها واضحين أمامه وتظهر صفات الرب يسوع متألئة أمام عينيه لا تنفره منك بل بالحري تجعله يجلس متفكراً ومقابلاً

إن قلب الإنجيل وأعظم حقيقة فيه تمتلك قلب المسلم بقوة وتسود على قلب كل خاطئ هي حقيقة الاتحاد بين رحمة الله وعدله الظاهرة في صليب المسيح. فإذا قدمت له هذه الحقيقة بكيفية مناسبة فإنها تؤثر على نفسه تأثيراً لا يعلم مقداره إلا الله وحده الذي بروحه يقنع الخطاة ويكفهم ويرجعهم إليه. وحتى يتنبه فيه الشعور بالخطية وهو أول عمل أساسي يجب أن نبدأ به. فقدم له تلك التعاليم النفيسة الواردة في موعظة المسيح على الجبل وبين له حقيقة حياة المسيح وليس من الحكمة أبداً أن تقابل بين المسيح ومحمد بل صف له المسيح واترك المقابلة لتأمله بنفسه

هذا وإننا نسأل كل مسلم مخلص النية أن يدرس الإنجيل ويرى بعينه حقيقة الرب يسوع الذي تكلم عنه القرآن كلاماً عظيماً ودعاه نبي الله ورسول الله نطلب منه أن يدرس الحقائق الأساسية التاريخية في الديانة المسيحية وينتقدها ويمحصها كما يشاء ويرى بنفسه ما ادعاه يسوع لنفسه وماذا فهم تلاميذه والكنيسة الأولى فيما ادعاه. إننا نرغب أن يدرس المسلم الإنجيل ويطالعه بالكيفية التي يرغبها فقط نطلب منه أن يجعل أمامه غرضاً واحداً وهو أنه يأتي وجهاً لوجه أمام يسوع نفسه ليتعلم أن يعرفه ويرى كيف ادعى لنفسه مركزاً سامياً أمام كل البشر وأمام الله مركزاً لم يدعه آخر سواه لنفسه ومركزاً لم يملأه أحد باستحقاق مثله وبعبارة أخرى نقدم له المسألة التي قدمها يسوع نفسه لتلاميذه وللعالَم أجمع « ماذا تظنون في المسيح؟ » ألسنا في خطر تعظيم قوة الإسلام الداخلية أكثر مما هي؟ إن الحقيقة التي لا مرأى فيها أن الإسلام قد تصدع صدوعاً داخلية صارت مع الأجيال أوسع وأعمق وأشد تباعداً وأكثر تشقّقاً واختلافاً. إن جموعهم المتشتتة ابتدأوا أن يروا هذه الصدوع الآخذة في

الاتساع والابتعاد. إن شدة التعصب للعقائد الإسلامية ليست على الدوام برهاناً على الإيمان الحقيقي بمحمد وتعاليمه. لما ضاعف بولس مجهوداته في مهاجمته المسيحية واضطهاد رجالها كان قلبه في الوقت ذاته آخذاً في الخضوع أمام وعظ استفانوس. إننا نرى الآن الشك وعدم الرضى سائدين بين إخواننا المسلمين المتهذبين أكثر من التمسك الأعمى بحقائق دينهم وما علينا إلا أن نقرأ مؤلفاتهم وكتاباتهم العصرية فنراها مشحونة بمجهودات قوية الغرض منها تخليص سفينة الإسلام بطرح كل ما كان يعتبر سابقاً من المشحونات الضرورية وقد كتب القس هارس في بورما مؤخراً جواباً على سؤال كيف نبشر الوثنيين يصح اعتباره جواباً لمسألتنا أيضاً قال: — « يحسن بنا أن نعتقد أن الأديان الوثنية بصفة كونها أدياناً لم تنشأ كما يزعم بعضهم عن رغبة سامية في معرفة الله المجهول بل هي اختراعات متقنة الوضع المقصود بها أبعاد الله بالكلية عن عقول البشر وقلوبهم. فلو كانت هذه النظمات المختلفة نتيجة سعي بإخلاص لإيجاد الله القدير لكان كلما تقدم النظام

وارتقى كلما ظهر الكمال في أجزائه ووضحت الغاية التي يرمي إليها وكلما صار المتمسكون به أقرب إلى الحقيقة وأشد تمسكاً بها. على أن الواقع بخلاف ذلك لأننا نرى أنه كلما كان النظام أكثر اتقاناً أو أقرب إلى الكمال وضعاً كلما كان المتمسكون به أقل قبولاً للمسيح وتسليماً لمطالبه السامية. ولذلك نجد أن أعظم النصرات التي حازها الإنجيل ولا يزال يحرزها ليست بين أصحاب النظام الديني المتقن الوضع والمحكم الترتيب بل بين أصحاب النظام الديني البسيط الواضحة سخافته وركاكته لكل ذي عقل سليم وما الاتفاق وحسن السبك وأحكام الوضع والتشبه بالحق مع الخلو من حقيقته إلا اتقان وسبك وإحكام المقصود بها الهروب من الشعور بالإله الحي الحقيقي «

فيلزمنا إذاً أن نرجع بأخينا المسلم إلى محمد نبيه وأن نحفر تحت أكوام الأحاديث وفي أساسات الديانة الإسلامية الأصلية فنستخرج معه ما قاله محمد نفسه عن يسوع المسيح وما ورد عن محمد النبي من صفات وأعمال شخصية كما يشهد بها كتابه ذاته أي القرآن. إن العالم الإسلامي قد صار إلى حالة مضطربة لم

يسبق لها نظير وقد تنبعت بين المسلمين حاسات الانتقاد وسرت فيهم عوامل ومؤثرات كانت نائمة وأصبح الكثيرون منهم يرون أنه مع المجهودات التي بذلت لتوقيه للأحوال العصرية لم يتوقفوا لذلك وكما قال الدكتور موط « إن الإسلام أصبح مقيداً نفسه مع البلاد الغربية في سلاسل إلحادها وتوحيدها وواضعاً ذاته تحت حماية ومساعدة الموظفين الغربيين الذين هجروا أحضان ديانتهم المسيحية ولم يعتنقوا ديناً آخر سواها فهؤلاء الرجال يحملون كل يوم للعالم الإسلامي أسلحة الملحدون وفلسفتهم المضللة »

إن نهضة المسلمين في عصرنا الحاضر لا سيما بين الطبقة المتعلمة منهم مصحوبة بنهضة روحية تشاهد في ما نراه فيهم من الميل إلى البحث والإطلاع على الكتب المقدسة بكيفية لم يسبق لها نظير وفي تناقص الميل في كثير منهم نحو التمسك بفرائض دينهم الإسلامي ولو أن نتائج ذلك البحث والمطالعة في التوراة والإنجيل والإهمال في فرائض الدين لا ترى محسوسة لقلّة عدد الراجعين منهم إلى الدين المسيحي ولكن

من يطلع على أخبار مؤتمر القاهرة ولكنو بالهند يتضح له أن الحقول قد ابيضت للحصاد لتبشير إخواننا بأوفر سرعة وبهمة شديدة

ويجدر بنا أن نسأل أخيراً ما هي الفائدة العائدة على المسيحية في تبشير المسلمين بالمسيح. وماذا يكون تأثير حركة قيام الكنيسة في العالم كله لتبشير العالم الإسلامي وما هي النتائج الأدبية المتضمنة في المعركة الفاصلة بين المسيحية والتوحيد الإسلامي؟

إن معركة معنوية كهذه لا مناص من وقوعها كما تبرهن مما أوردناه في الفصول السابقة لأنه كما قال الدكتور روبرت اسبير « إن عمل الإرساليات التبشيرية ليس محو الخطوط الفاصلة بين الحقائق ومصالحة الأديان بمشترى عواطف الناس وموافقهم بإنكار ورفض المبادئ المسيحية بل هو صدام ما بعده صدام بل قتال ما بعده قتال بين الحق والضلال » فجواباً على هذه الأسئلة نقول

(أولاً) — إن أول كل شيء تربيته الكنيسة من هذا العمل

المبارك هو زيادة تمسكها بشدة بحقائق الإيمان المسيحي لأنه كلما تواجهت الكنيسة مع المسلمين في النضال لأجل الحق كلما ازدادت إطلاعاً وتمسكاً بعقائد التجسد والكفارة والثالوث. كلما درسنا الإنجيل مع المسلم ولأجله كلما اتضح لنا أكثر فأكثر أن موت المسيح الغير المعترف به صريحاً في الإسلام له المقام الأسمى في الإنجيل والرسائل بل هو قلب ومركز وخالصة إعلان الله للإنسان. وهذا يصح أيضاً على طبيعة وأدلة قضية قيامة المسيح وحقيقة الإيمان بلاهوت الله إيماناً صحيحاً بالمقابلة مع التوحيد الإسلامي

(ثانياً) — تضطر الكنيسة في مصارعها ومناضلتها مع التوحيد الإسلامي وإنكاره للوحي المسيحي أن تتعمق في معرفة مبادئها اللاهوتية تعمقاً اختبارياً وبهذه الكيفية تصير المسألة الإسلامية للكنائس الشرقية مسألة إنهاض من سبات وإحياء من موت لأنها ترى حقيقة كنوزها الروحية وتصبح شاعرة بمسؤوليتها الروحية التبشيرية. أما عقيدة التجسد وعقيدة الروح القدس فليست قطعاً سلاح نظيفتين لامعتين وحادثتين يجب أن

تحفظا في غمدها للعرض والفرجة والإعجاب بديننا القديم (الارثوذكسي) ولكنهما أمران حيويان في حياتنا المسيحية. إن الكنائس الارثوذكسية الشرقية أصبحت عديمة القوة أمام الإسلام طالما كانت أمينة ومستقيمة نحو عقائدها فقط. لأن عقيدة الثالوث يجب أن تحيا على كل لسان وقلب مسيحي إذا شئنا أن تؤثر تأثيراً فعالاً في التوحيد الإسلامي وقد بين ذلك القس جاردنر في خطابه الذي ألقاه على مؤتمر الجامعة الانكليكانية حيث قال عن أهمية النتائج الأدبية التي تنجم عن المصادمة العنيدة بين عقيدة الثالوث المسيحية وعقيدة التوحيد الإسلامية « إن الإسلام يضطرنا أن نجد الثالوث في قلوبنا ويضطرنا أن نجد الثالوث في قلب الله »

وبعد أن بحث في صفات سلطان السماء (في نظر المسلم المدعو الله) وحكمه الغامض والبعيد عن الميادين المقررة الثابتة قال أليس جحود المسلمين للكتب المقدسة والإيمان بالثالوث المسيحي فيما بينهم يضطران الكنيسة أن تبحث هذه المسألة مرة أخرى وأن تتأمل في قضية الكفارة العظيمة وأسرارها العميقة

في نور القول الإلهي « إن الله كان في المسيح مصالِحاً العالم لنفسه ». إننا بدرسنا حقيقة « التوحيد في الإسلام » تفيض قلوبنا بالشكر والحمد لأجل معرفة الإله الواحد الحي الحقيقي المعلن لنا في الكتب المقدسة كما أن درسنا في المسيح الإسلامي وجعلهم النبي والأولياء بدلاً عن الوسيط الوحيد بين الله والناس يؤدي بنا إلى معرفة أعمق وشعور أقوى برحمة الله الظاهرة لنا في ذلك الذي حل فيه ملء اللاهوت جسدياً والذي لأجل تقديمه ذاته ذبيحة عن البشر الخطاة يستحق « القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة »

(ثالثاً) — تتحقق الكنيسة أن مذهب التوحيد مجرداً عن التعاليم المسيحية يجعل الله لغزاً غير مفهوم ويجعل عبادته أمراً طقسياً لا تأثير له على نفوس العابدين. إن الموحدين يعظمون المسيح ولا شك ولكنه تعظيم قولي لا فعلي فيكون له مجرد شخص كسائر الأشخاص ولو أنهم يعظمون صفاته ولكنهم يغضون الطرف عنه كلية لعدم شعورهم بأدنى حاجة إليه. إننا لا نقدر أن نتصور فكراً صائباً عن الله بدون المسيح لأنه هو

الابن الوحيد الذي كان في حزن الأب وجاء ليخبر عنه فمهما علّى المسلمون المقام الرباني وعظموا الجناح الصمداني فإنهم لا يصلون إلى حقيقة صفات الله صفات الرحمة والمحبة والقداسة بدون المسيح الصفات التي تجعل الله مدركاً وقريباً من القلوب والاحساسات والعواطف. إن بالمسيح ابن الله وحده يستطيع الناس معرفة نسبتهم الجديدة لله أي ابناء وشركاء في الطبيعة الإلهية لا مجرد خليفة صنعها الباري وترك لها الحبل على الغارب لتجاهد حتى تصل إليه. إنه بالمسيح فقط يستطيع البشر أن يدركوا عمل الروح القدس والمعزي ورب الحياة وواهب الحياة إن المسيحية لا تقول بتعدد الآلهة بل هي موحدة قبل سواها ولكنها تعتقد أن الله ثلاثة أقانيم في جوهر واحد وإله واحد.

إنه متى شعر المسلم بثقل خطاياها يسرع إلى المخلص الحي ابن الله الحقيقي حمل الله رافع خطية العالم. وهناك أمام صليبه تزول كل صعوباته العقلية وتتقشع غياهب أوهامه التقليدية وأمام شمس البر يضيء عقله وقلبه بالنور السموي شاعراً بغفران خطيته

وزوال جهالته وتحريره من عبوديته فيهتف قائلاً مع الكنيسة المقدسة الجامعة الحية إلى الأبد.

﴿ أُوْمِنُ بِإِلَهِهِ وَوَاحِدِ أَبِي ضَابِطِ الْكُلِّ خَالِقِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَكُلِّ مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى
وَبِرَبِّ وَوَاحِدِ يَسُوعِ الْمَسِيحِ ابْنِ اللَّهِ الْوَحِيدِ الْمَوْلُودِ مِنَ الْآبِ قَبْلَ كُلِّ الدَّهْرِ. إِلَهٌ مِنْ إِلَهِ. نُورٌ مِنْ
نُورٍ. إِلَهٌ حَقٌّ مِنْ إِلَهِ حَقٍّ. مَوْلُودٌ غَيْرَ مَخْلُوقٍ مَسَاوٍ لِلْآبِ فِي الْجَوْهَرِ. الَّذِي بِهِ كَانَ كُلُّ شَيْءٍ.
الَّذِي لِأَجْلِنَا نَحْنُ الْبَشَرِ وَمِنْ أَجْلِ خَلَاصِنَا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ وَتَجَسَّدَ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ مِنْ مَرْيَمَ
الْعَذْرَاءِ وَتَأَنَّسَ وَأَيْضاً صُلِبَ عَلَيْنَا عَلَى عَهْدِ بِيلاطسِ الْبُنْطِيِّ وَتَأَلَّمَ وَقُبِّرَ وَقَامَ أَيْضاً فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ
وَصَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِ الْآبِ. وَسَيَأْتِي أَيْضاً لِيُيَدِّينَ الْأَحْيَاءَ وَالْأَمْوَاتِ الَّذِي لَيْسَ
لِمَلِكِهِ أَنْقِضَاءَ

وَأُوْمِنُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الرَّبِّ الْمَحْيِي الْمُنْبِتِ مِنَ الْآبِ وَالابْنِ لَهُ السُّجُودَ وَالْمَجْدَ مَعَ الْآبِ
وَالابْنِ الْنَاطِقِ بِالْأَنْبِيَاءِ.

وَأُوْمِنُ بِكَنِيسَةِ وَاحِدَةٍ مَقْدَسَةٍ جَامِعَةٍ رَسُولِيَّةٍ

وَأُوْمِنُ بِمَعْمُودِيَّةٍ وَاحِدَةٍ لِمَغْفَرَةِ الْخَطَايَا وَأَنْتَظِرُ قِيَامَةَ الْمَوْتَى وَحَيَاةَ الدَّهْرِ الْعَتِيدِ. آمِينَ ﴿

(انتهى)

جدول

أسماء الكتب المشار إليها في الكتاب والتي أُستعملت في تجهيزه

(١) الكتب العربية

الدميري - حياة الحيوان الكبرى

البيضاوي - شرح القرآن

برهان الدين الحلبي - إنسان العيون

ابن خلدون - مقدمة ابن خلدون

الثعلبي - قصص الأنبياء

الجلالين - شرح القرآن

مشكاة المصابيح - طبع دهلي

الزمخشري - شرح القرآن

فتح الرحمن - قاموس القرآن



(٢) الكتب الافرنجية

- | | |
|------------------------|---|
| Ameer Ali, Seyyid, | - The Spirit of Islam. |
| Birks, Herbert, | - Life of Thomas Valpy French. |
| Burton, Sir Richard, | - Pilgrimage to el-Medina and Mecca. |
| Carletti, P.V., | - Idhar-ul-Haqq. |
| Cheikho, P.L., | - Quelques Légendes Islamiques Apocryphes. |
| Denney, James, | - The Death of Christ. |
| Geiger, Abraham, | - Was hat Mohammed aus dem Judenthume aufgenommen? |
| Gerock, C. F., | - Christologie des Koran. |
| Goldziher, Ignaz, | - Muhammedanische Studien. |
| Hughes, Thomas, P., | - Dictionary of Islam. |
| Jessup, H. H., | - Kamil Abdul-Mesih. |
| Klein, F. A., | - The Religion of Islam. |
| Koelle, S. W., | - Mohammed and Mohammedanism Critically Considered. |
| Mirkhond, | - Bible de l'Islam. |
| Muir, Sir William, | - The Life of Mohammed. |
| Pfander, Carl Gottlieb | - Mizanu'l Haqq. |
| Rice, W, A., | - Crusaders of the Twentieth Century. |
| Smith, H. P., | - The Bible and Islam. |
| Tisdall, W. St. Clair, | - Mohammedan Objections to Christianity. |
| Tisdall, W. St. Clair, | - The Original Sources of Quran. |
| Wright, Thomas, | - Early Christianity in Arabia. |
| Zwemer, S.M., | - The Moslem Doctrine of God. |

(For complete bibliography see English Edition).